

إميل ناصيف

الأرواح ما قبل
في

الوجود النسيب

دار الجيد
بيروت



الزَّوْجُ مَا قِيلَ
فِي
الْوَهْدِ النَّيَّاتِ

الإمام ناصيف

الزَّوْجُ مَا قِيلَ
فِي
الْوَجْدِ النَّبِيلِ

وَلَاؤُ الْجَمِيلِ
بِشَرِ

جميع الحقوق محفوظة لإدارة الجيل
الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

المقدمة

هذا الكتاب حلقة من سلسلة «أروع ما قيل» التي زاد عدد حلقاتها حتى الآن على العشرين. ولعلّ هذا الكتاب من صفوة ما في هذه السلسلة، ذلك أنّ الشعر الوجدانيّ من صفوة الشعر الغنائيّ. إنّ ذلك النوع من الشعر الغنائيّ الذي تتوقّد فيه العاطفة، فيغدو الشعر مع هذا التوقّد شفافاً صادقاً يدخل القلوب دون استئذان. وإذا كان كذلك، فهو، بلا شك، من أروع ما في بابيه، إن لم يكن أروع، وهكذا نجد الشعر الوجدانيّ في الغزل، والثناء، والعتاب، والاعتذار، والشكوى، وغير ذلك.

وقد قسمتُ كتابي إلى سبعة أبواب مخصّصاً لكل عصر أدبيّ باباً، ومقدّماً للأعصر بباب صغير تكلمتُ فيه على الشعر الوجدانيّ، جاعلاً في كلّ باب ما وجدت أنّه أروع، أو من أروع ما قيل من شعر وجدانيّ فيه. وأخيراً أرجو أن يعجب هذا الكتاب القراء الأعزّاء كما أعجبهم باقي حلقات هذه السلسلة؛ والله وليّ التوفيق.

المؤلف

الباب الأول:

الشعر الوجدانيّ

لا بدّ قبل التعريف بالشعر الوجدانيّ، من التعريف بالشعر الغنائيّ، والوجدان، وذلك لأنّ الشعر الوجدانيّ نوع من الشعر الغنائيّ.

أما الشعر الغنائيّ، فقد جاء عنه في «المعجم الأدبيّ للدكتور المرحوم جبور عبد النور:

«١- اختلف القدماء والمُحدثون في تحديد الشُّعر الغنائيّ. فانطلق الفريق الأوّل من الشُّكل الخارجيّ، وانطلق الفريق الثاني من المضمون في التعريف به. وذلك لأنّ القدماء كانوا يُعَتُّون الشُّعر، فيرتّبون أبياته بطريقة تُيسّر لهم إنشاده وتزتيله، في حين أنّ المُحدثين نظروا إليه على أنّه تعبير عن العاطفة الإنسانيّة. ومَعَ ذلك فَقَدْ أَجمَعوا كُلّهم على أنّ الشُّعر الغنائيّ هو غِناء النَّفس.

٢- يُعبّر هذا الشُّعر عن إَحْساسات متأبّية من الدّاخل أو من الخارج، لذلك اقتضى أنّ تكون للعواطف الفرديّة والجماعيّة صِفة شاملة، لأنّ المعبّر أو المؤثّر في فرديّة الشّاعر هو ما يتضمّن مَعْنى شاملاً، ويَبْتَعث في السّامع أو القارئ شُعوراً بالاسْتِطْفاف، ويتجاوز إَحْساسات رَجُل معيّن في فترة زمنيّة عابرة فلا يمسّ مشاعر الإنسانيّة. وبهذا يتعارض في صَميمه مع الشُّعر المُبهم.

٣- الشَّعر الغنائي حَيٌّ، حارٌّ، مؤثِّر، مُباغت، يَشيع فيه التَّفجُّر الدَّاخلي، والطَّفرات اللَّفْظيَّة، والبيانيَّة والشَّكليَّة لِأنَّه في الأساس انْفِعال وإثارة.

٤- يُعنى بالمَوْضوعات الشَّخصيَّة والعامة الَّتِي تُشمل حياة الإنسان والعالمين المَحسوس وغير المَحسوس اللَّذين يَنْطلقان من الإنسان ويدوران حَوْلَه مُتَسَعِّين شَيْئًا فشيئًا لِيُشَمِّلا قضايا الفَرْد، والأسرة، والوَطن، والإنسانيَّة، والطَّبيعة، والعالم، والله.

٥- إذا أَحَبَّ الشَّاعر الغنائي وَصَفَ العالم لا يَكْتَفِي بالجانب الماديِّ وَحَدَه لِأنَّ عاطفته وطموحه يتجاوزان الإحساس بالواقع، بَلْ يَسْعَى لبلوغ سِرِّ الأسباب، ويَصْبِح شِعْرُه نوعًا من أَرْتياد عوالم ما وراء الطَّبيعة المُعْبَرة عنها بالرُّسوم، والأخيلة، والإيقاع.

وجاء في «المعجم المفصَّل في اللغة والأدب»:

«هو الشعر الذي يعبرُ الشَّاعر فيه عن معاناته الشَّخصيَّة، وتجاربه الذاتية، بوصفه إنسانًا يحيا ويفكر ويحس ويتخيَّل. وهو إذ يعبرُ عن ذاته بالكلمة الجميلة والأسلوب المتفرد الجذاب، إنما يعبرُ بالفعل عن الوسط الاجتماعيِّ الذي ينتمي إليه، ويعيش في كنفه متحسِّسًا همومه، مستشعرًا حاجاته وطموحاته، ملتزمًا قضاياه المصيريَّة والحضارية، من حيث إنَّ الشعر هو ضمير الأُمَّة، وقلب الإنسان، ومن حيث إنَّ الشَّاعر هو البصيرة الرائيَّة، وهو حادي الرُّكب إلى الغد الأفضل، والوجود الأهنأ، وهو الدَّلِيل الخبير في رحلة الحياة الشَّاقَّة، ودروبها الشَّائكة، وهو الواحة الظليلة في هجير البحث عن الفردوس المفقود.

وكَلِّما أوغل الشَّعر الغنائي في التعبير عن خصوصيَّات الشَّاعر

الحميمة، منكفئاً فيها إلى ما يختلج في داخل الذات من تأملات، وانفعالات، وصبوات، كان أقرب إلى الشعر الوجداني. وكلما اتسع منظور الشاعر الغنائي ليعبر عما تثيره العوالم الخارجية، وحضور الآخرين في نفسه من ردود ومشاعر، وتصورات، ابتعد عن الوجدانية الغنائية، ليقف عند حدود الغنائية، وهما مرتبتان داخل النوع الشعري الواحد. وقد درج الباحثون على تقسيم الأنواع الشعرية إلى شعر غنائي ووجداني، وشعر قصصي وملحمي، وشعر تمثيلي، وشعر حكيم وتعليمي.

والشعر الغنائي هو أكثر الأنواع رواجاً. ويكاد ديوان الشعر العربي أن يقتصر عليه وحده من دون سائر الأنواع الأدبية كافة. وأغراضه هي الفخر، والوصف، والهجاء، والرثاء، والغزل، والزهد، والاعتذار، والخمريات، والطرديات، وما إليها، مما لم يؤثر مثله في الآداب العالمية، كما وكيفاً. وهي أغراض وموضوعات فرضها واقع الحياة العربية، وظروفها الاجتماعية والتاريخية. وقد كان لها ما يبررها ويدفع إليها دفعا، واستطاع قدامى الشعراء العرب أن يرتقوا بها إلى الدرى الفتيّة العالية. كما أن الشعراء المعاصرين والمحدثين ما يزالون، منذ فجر النهضة إلى اليوم، يواكبون مدّ التطور الصاعد، ويستجيبون في إبداعهم الغنائي، لمقتضيات هذا التطور، مضموناً وشكلاً، بل إن طلائعهم تستشرف آفاقه، وترسم معالم الطريق بمنجزات تتجاوز الموروث، وترسخ أصول المعاصرة والحدثة.

أما الوجدان فهو «حالات نفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم، غير مؤدية إلى المعرفة في مقابل عمليات التصور والتفكير»، أو هو «الانفعالات والعواطف والأهواء»، أو هو «النفس وقواها الباطنة».

وأما الشعر الوجداني فهو عند ابن طباطبا في كتابه «عيار الشعر»:

«الشعر الذي يحكي ما في نفس السامع، ويحسن التعبير عنه، فيستهجج لذكر ما قد عرفه طبعه، وقبّله فهمه، فيثار بذلك ما كان دفينًا، ويبرز به ما كان مكنونًا، فينكشف للفهم غطاؤه، فيتمكن من وجدانه بعد العناء في نشدانه». أو «هو الشعر الغنائي، إلا أن الشاعر يعبر فيه عما يختلج في ذات نفسه، وفي دواخلها الحميمة، وليس نتيجة مؤثرات خارجية».

والشعر الوجداني هو الشعر الغنائي الذي نلاحظ فيه شدة المعاناة، وجيشان العواطف، وصدق التجربة، بعيدًا عن التستر والمداخلة، أو التكتّم والمراوغة، كلّ ذلك بشفافية صادقة، واعتراف قلب، وبوح نفس، بشكل عفوي تلقائي، كما تفوح الزهرة الأرجة بعطرها، وكما يغني الطائر الغريد على أفنان الشجر.

ومن أهمّ دوافع هذا النوع من الشعر الغنائي هو الألم، والمعاناة، ومرارة التجربة، مما يحمل الشاعر على البوح بما في نفسه من شعور بالألم، أو الوحدة، أو الحب، أو غير ذلك من العواطف الصادقة التي تلهب القلب، وترقق الحس، وتصفي الذات.

«وهكذا فالشعر الوجداني ينطلق من قلب الشاعر ليتوجّه إلى قلبه، موحّدًا بين الذات والموضوع، محوّلًا الشاعر إلى النبع والمصبّ في آن معًا. في حين نجد الأغراض الغنائية الأخرى تنبع من قلب الشاعر لتنسكب في ذوات الآخرين (فالمدح يحمل عاطفة الشاعر إلى ممدوح، والهجاء إلى مهجّو، والغزل إلى حبيب...)». من هنا القول: إنّ كلّ شعر وجداني هو شعر غنائي لسيطرة العاطفة عليه، وليس كلّ شعر غنائي وجدانيًا.

والشعر الغنائي يقع من الشعر العربي بمنزلة القلادة في الجيد حاملًا معه حرارة الانفعال والتأثير. ولطالما كنّا نراه يلتصق هنا ويومض هناك في

تضاعيف القصائد. ومن أربابه، في الأدب العربي القديم، نذكر أبا فراس
الحمداني، والمعتمد بن عباد. وقد أكمل هذا الشعر رحلته في الأدب
الحديث، فرأيناه واسع الانتشار في أدب المهجر والاغتراب.

* * *

الباب الثاني:

من الشعر الوجداني
في العصر الجاهلي

المهلهل

هو عدي بن ربيعة التغلبي، وخال الشاعر امرئ القيس، لُقّب بالزير
لكثرة مجالسته النساء. كان يقضي أيامه في اللهو وشرب الخمر. وكان له
أخ اسمه وائل، ولقبه كليب، وامراته جليلة بنت مرة الشيباني من بكر،
وكان لمرة عشرة بنين أصغرهم جسّاس. وحدث يوماً أن نزلت خالة
جسّاس، واسمها البسوس، على جسّاس، فرمى كليب ناقته وفصيلها
بقوسه، فقتل الفصيل، وراحت الناقة تعجّ. فلما رأتها البسوس صاحت:
«واذلاه». فقال لها جسّاس: «اسكتي، فلكِ بناقتكِ ناقةٌ أعظم منها». فأبت
إلا رأس كليب. فقتل جسّاس كليلاً. وهب المهلهل يطلب ثأر أخيه.
ونشبت الحرب بين بكر وتغلب، فدامت أربعين سنة ودُعيت حرب
البسوس. وقد أبدى المهلهل في تلك الحرب شجاعة نادرة، وأسير في آخر
الأمر، ومات في أسره سنة ٥٣١م.

للمهلهل ديوان شعر أهم ما فيه رثاؤه لأخيه كليب. ورثاؤه مزيج من
دمع وحرب، من عاطفة رقة تنبعث من قلب محبّ، وعاطفة خشونة تنبعث
من حالة البراءة والفطرة.

* * *

رثاء كليب

أهـاجَ قَدَاةَ عَيْنِي الأَذْكَارَ هُدُوءًا فَالْدُمُوعُ لَهَا انْجِدَارُ^(١)
 وَصَارَ اللَّيْلُ مُشْتَمِلًا عَلَيْنَا كَأَنَّ اللَّيْلَ لَيْسَ لَهُ نَهَارُ
 وَبِثِّ أَزَاقِبِ الْجُوزَاءِ حَتَّى تَقَارَبَ مِنْ أَوَائِلِهَا أَنْحِدَارُ^(٢)
 أَصْرَفُ مُفْلَتِي فِي إِثْرِ قَوْمٍ تَبَايَنَتِ الْبِلَادُ بِهِمْ فَعَارُوا
 وَأَبْكِي وَالنَّجُومُ مُطْلَعَاتٌ كَأَنَّ لَمْ تَخُوهَا عَنِّي الْبَحَارُ
 عَلَى مَنْ لَوْ نُعِيتُ وَكَانَ حَيًّا لَقَادَ الْخَيْلَ يَحْجُبُهَا الْعُبَارُ
 دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ فَلَمْ تُجِبْنِي وَكَيْفَ يُجِيبُنِي الْبَلَدُ الْقِفَارُ
 أَجِبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَكَ دَمٌ ضَمِينَاتِ الثُّفُوسِ لَهَا مَزَارُ
 أَجِبْنِي يَا كَلِيبُ خَلَكَ دَمٌ لَقَدْ فُجِعَتْ بِفَارِسِهَا نِزَارُ
 سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ
 أَبْتُ عَيْنَايَ بَعْدَكَ أَنْ تَكُفَّا كَأَنَّ عَصَى الْقِتَادِ لَهَا شِفَارُ^(٣)
 وَلَئِكَ كُنْتَ تَحْلُمُ عَنْ رِجَالٍ وَتَغْفُو عَنْهُمْ وَلَكَ أَقِيدَارُ

* * *

(١) القداة: ما يخرج من العين الرمداء. هُدُوءًا: في هدأة الليل وسكونه.

(٢) الجوزاء: برج في السماء.

(٣) العَصَى: نوع من الشجر. القِتَاد: الشوك. الشفار: منابت أهذاب العين.

الخنساء

هي أم عمرو بنت عمرو بن الشريد السلمية الملقبة بالخنساء . ولدت نحو سنة ٥٧٥م، ونشأت في بيت ثروة وجاه . وكان لها أخوان : معاوية وصخر، وكان صخر يعطف عليها بنوع خاص، فقُتِلَا كلاهما . وكان لمقتلهما صدى بعيد في نفسها، فبكت حتى تقرّحت مقلتاها، بل حتى عميت، وذاب قلبها التياغاً، ورثتهما بشعر رقيق، وخَصَّتْ صخرًا بالقسم الأكبر منه . وقد أدركت الإسلام فاعتنقته مع بنيتها، وتُوفيت سنة ٦٦٤م .

لها ديوان شعر كلّه في رثاء أخويها، ولا سيّما صخر، يشعر من يقرأه أنّه في مأتم يسمع فيه عويل النائحات، وندب النادبات . هو ديوان امرأة أُصيبَت في الصميم، وفقدت من تُحبّ ومن كان للحرب سيفًا بَنَارًا، وللمجالس سيّدًا مختارًا، وللقرى والضّيافة نَحَارًا، وللنجدة فارسًا مغوارًا . وهي، في رثائها، تتمثّل أبدًا أخاها وتخطبه . وتصوّره بحبّ أخويّ صادق، وتبكي ولا تملّ من مخاطبة العينين تسألهما الدمع، والعينان تجيبان، وإذا الدمع نار في هشيم، وإذا اللوعة أبدًا في ازدياد . وفيما يلي بعض النماذج من رثائها .

* * *

رثاء صخر

يُؤرِّقُنِي التَّدَكُّرُ حِينَ أُمْسِي فَأُضْبِحُ قَدْ بُلِيْتُ بِفَرْطِ نُحْسٍ
عَلَى صَخْرٍ، وَأَيُّ فِتْيَ كَصَخْرٍ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَطِعَانٍ خَلْسٍ؟^(١)
فَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ رُزْءًا لِحِجْنٍ، وَلَمْ أَرِ مِثْلَهُ رُزْءًا لِإِنْسٍ^(٢)
يُذَكِّرُنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ، لَقَتَلْتُ نَفْسِي!
وَلَكِنْ لَا أَزَالُ أَرَى عَجُولًا وَبَاكِئَةً تَنُوحُ لِيَوْمِ نَحْسٍ^(٣)
أَرَاهَا وَالِهَا تَبْكِي أَخَاهَا عَشِيَّةَ رُزْئِهِ، أَوْ غِبَّ أُمْسٍ
وَمَا يَبْكِيَنَّ مِثْلَ أَخِي، وَلَكِنْ أُعْزِي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي^(٤)
فَلَا، وَاللَّهِ لَا أُنْسَاكَ حَتَّى أَفَارِقَ مُهَجَّتِي وَيُشَقَّ رَمْسِي
فَيَا لَهْفِي عَلَيْهِ وَلَهْفَ أُمِّي أَيْضِحُ فِي الضَّرِيحِ وَفِيهِ يُمْسِي!

* * *

قَدَى بَعِينِكَ

قَدَى بَعِينِكَ أُمِّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أَمْ دَرَقْتُ أَنْ خَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا أَلْدَارُ؟^(٥)
كَأَنَّ عَيْنِي لِلدُّكْرَاءِ، إِذَا خَطَرْتُ فَيَضُّ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَّيْنِ، مِذَارُ

(١) طعان خلّس: طعان فيه إعجال وشجاعة وحذر.

(٢) الرزء: المصيبة.

(٣) العجول: الثكلى الشديدة الحزن من النساء.

(٤) التأسي: التصبر.

(٥) العوار: رمد العين. أن خلت: أي لأن خلت.

تَبْكِي لِصَخْرٍ، هِيَ الْعَبْرَى، وَقَدَوْلَهَتْ
تَبْكِي خُنَاسٌ، فَمَا تَنْفَكُ، مَا عَمَرَتْ،
تَبْكِي خُنَاسٌ عَلَى صَخْرٍ، وَحَقَّ لَهَا،
لَا بُدَّ مِنْ مِيتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرَ
وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ أَسْتَارُ^(١)
لَهَا عَلَيْهِ زَيْنٌ، وَهِيَ مِفْتَارُ^(٢)
إِذْ رَابَهَا الدَّهْرُ إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارُ
وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارُ^(٣)

* * *

ما بال عينك

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا دَمْعُهَا سَرَبُ
أَمْ ذِكْرُ صَخْرٍ بُعِيدَ النَّوْمِ هَيَّجَهَا
يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ إِذَا رَكِبَتْ
قَدْ كَانَ حِصْنًا شَدِيدَ الْرُكْنِ مُمْتَنِعًا
كَمْ مِنْ ضَرَائِكَ هَلَاكِ وَأَزْمَلَةٍ
سَقِيًا لِقَبْرِكَ مِنْ قَبْرِ وَلَا بَرَحَتْ
مَاذَا تَضْمَنُ مِنْ جُودٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَمِنْ خَلَائِقٍ مَا فِيهِنَّ مُقْتَضَبُ
أَرَاَهَا حُزْنَ أَمْ عَادَهَا طَرَبُ
فَالدَّمْعُ مِنْهَا عَلَيْهِ الدَّهْرُ يَنْسَكُبُ
خَيْلٌ لِحَيْلٍ تُنَادِي ثُمَّ تَضْطَرِبُ
لَيْثًا إِذَا نَزَلَ الْفَيْثَانُ أَوْ رَكِبُوا
حَلُّوا لَدَيْكَ فَرَاثَ عَنْهُمْ الْكَرْبُ
جَوْدُ الرِّوَاعِدِ تَسْقِيهِ وَتَحْتَلِبُ^(٤)
وَمِنْ خَلَائِقٍ مَا فِيهِنَّ مُقْتَضَبُ

* * *

هريقي من دموعك

هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ أَوْ أَفِيقِي
وَقُولِي إِنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ
وَصَبْرًا، إِنَّ أَطَقْتُ، وَلَنْ تُطِيقِي^(٥)
وَفَارِسُهُمْ بِصَحْرَاءِ الْعَقِيقِ

(١) العبرى: التي لا تجف دموعها. ولهت: اشتد جزعها. الأستار: طبقات التراب فوق الميت.

(٢) خُنَاسٌ: الخنساء. المِفْتَارُ: المنكسرة.

(٣) فِي صَرْفِهَا: فِي حَدُوثِهَا وَتَصْرِفِهَا. غَيْرِ الدَّهْرِ: نَوَائِبِهِ. الْحَوْلُ: التَّحْوِيلُ.

(٤) جُودُ الرِّوَاعِدِ: الْأَمْطَارُ.

(٥) هَرِيقِي: أَرِيقِي، صُبِّي.

ولائي والبكا من بعد صخر
فلا وأبيك ما سلئت صدري
ولكتي وجدت الصبر خيراً
ألا هل تزجعن لنا الليالي
ألا يا لهف نفسي بعد عيش
وإذ يتحاكم السادات طراً
وإذ فينا فوارس كل هيجاً
إذا ما الحزب صلصل ناجداها
وإذ فينا معاوية بن عمرو
فبكيه فقد ولي حميداً
هو الرزء المبيئ لا كباس،
كسالكه سوى قضد الطريق
بفاحشة أتيت ولا عقوي^(١)
من الثعلين والرأس الحليقي^(٢)
وأيام لنا بلوى الشقيقي^(٣)
لنا بندي المختم والمضيقي^(٤)
إلى أبيتنا وذوو الحقوق
إذا فزعوا وفتيان الخروقي^(٥)
وفاجأها الكماء لدى البروقي^(٦)
على أذماء كالجمال الفنيقي^(٧)
أصيل الرأي محمود الصديقي
عظيم الرأي يحلم بالتعقي^(٨)

* * *

-
- (١) أرادت أنها لا تجد في كل ما أتاه فاحشة ولا عقوقاً، فتسلو نفسها عنه.
(٢) تعتذر في هذا البيت عن صبرها، وتقول إنها وجدت الصبر خيراً من أن تحلق رأسها وتضربه بتعلين فتعفره، فعل الجاهليات إذا فقدن كريماً.
(٣) لوى الشقيقي: موضع.
(٤) المختم والمضيقي: موضعان.
(٥) الخروق، واحدها الخرق: القفر تنخرقه الرياح.
(٦) صلصل: صوّت. ناجداها، واحدها ناجد: أقصى الأضراس.
(٧) الفنيقي: الفحل المكرم.
(٨) يقال: رجل كباس، للذي يدخل رأسه بثوبه أو للذي إذا سأله حاجة كبس برأسه في جيب قميصه، وأرادت انه كريم غير بخيل.

قلب غير مهتضم

يا عينُ فيضي بدمع منك مغزار^(١) وابكي لصخرٍ بدمع منك مدرار^(١)
 إني أرفئت فبتُ اللَّيْلَ سَاهِرَةً كَأَنَّمَا كُحِلْتُ عَيْنِي بِعُورِ^(٢)
 أزعى النجومَ وما كلفتُ رِغِيَّتَهَا وتارةً أَتَغَشَّى فَضْلَ أَطْمَارِي^(٣)
 وَقَدْ سَمَعْتُ فَلَمْ أَبْجَحْ بِهِ خَبْرًا مخبرًا قامَ يَنمي رَجَعَ أَخْبَارِ^(٤)
 قال: ابنُ أُمِّكَ ثاوٍ بالضريحِ وَقَدْ سَوَّوا عَلَيْهِ بِالْوِاحِ وَأَحْجارِ
 فاذْهَبْ فلا يُبْعِدَنَّكَ اللهُ من رَجُلٍ مَناعِ ضَمِيمٍ وَطَلَّابٍ بِأَوْتَارِ^(٥)
 قد كنتَ تحمِلُ قَلْبًا غيرَ مُهْتَظَمٍ، مرَّكَبًا في نِصابِ غيرِ خَوَارِ^(٦)
 مثلَ السَّنانِ تُضيءُ اللَّيْلَ صَوْرَتُهُ جَلْدُ المَرِيرَةِ حُرٌّ وابنُ أَحرارِ^(٧)
 أبكي فتى الحَيِّ نالَتْهُ مَنِيَّتُهُ وكلُّ نَفْسٍ إلى وَقْتٍ ومُقْدَارِ
 وَسَوْفَ أَبْكِيكَ ما ناحتَ مَطْوِوَةٌ وما أضاءَتْ نِجومُ اللَّيْلِ للَسَّاري

* * *

(١) المغزار: الكثير.

(٢) العوار: القذى.

(٣) أتغشى: أغطي. الأطمار، واحدها طمر: الثياب الرثة.

(٤) أبجح: أفرح. ينمي إليه حديثًا: يرفعه.

(٥) الأوتار، واحدها وتر: الثار.

(٦) النصاب: الأصل. الخوار: الضعيف.

(٧) الجلد: الشديد القوي. المريرة: عزة النفس والعزيمة.

قسّ بن ساعدة

هو قسّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إيراد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية (١٠٠ - نحو ٢٣ ق. هـ/ نحو ٦٠٠ م). كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربيّ خطب متوكّفاً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه: «أما بعد». وكان يفد على قيصر الروم زائراً، فيكرمه ويعظمه، وهو معدود في المعتمّرين، طالّت حياته وأدركه النبيّ (ﷺ) قبل النبوة، ورآه في عكاظ، وسئل عنه بعد ذلك، فقال: يُحشر أمة وحده^(١).

وروي في قصّة القصيدة التالية أنّ رجلاً قال للرسول (ﷺ): يا رسول الله: لقد رأيت من قسّ عجبا. قال: وما رأيت؟ قال: بينا أنا بجبل يقال له سيمعان في يوم شديد الحرّ، إذا أنا بقسّ بن ساعدة تحت ظلّ شجرة عند عين ماء، وعنده سباع، كلّما زار سبّع منها على صاحبه ضربه بيده وقال: كُفّ حتى يشرب الذي ورد قبلك. قال: فخفت. فقال: لا تخف. وإذا أنا بقبرين بينهما مسجد، فقلت له: ما هذان القبران؟ قال: هذان قبرا أخوين كانا لي، فماتا، فاتخذتُ بينهما مسجداً أعبد الله جلّ وعزّ فيه حتى ألحق بهما ثم ذكر أيامهما فبكى، ثم أنشأ يقول:

خِليّ هُبا طالما قد رَقَدْتُما أجِدُّكما لا تقضيان كَرَاكُما

(١) الزركلي: الأعلام ١٤٦/٥.

أَلَمْ تَغْلَمَا مَا لِي بِرَاوَنْدَ هَذِهِ
أَقِيمُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا
جَرَى الْمَوْتُ مَجْرَى اللَّحْمِ وَالْعَظْمِ مِنْكُمَا
تَحْمَلُ مِنْ يَهْوِي الْقُفُولِ وَغَادَرُوا
فَأَيُّ أَخٍ يَجْفُو أَخًا بَعْدَ مَوْتِهِ
أَصَبْتُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا مِنْ مُدَامَةٍ
كَأَنَّكُمَا وَالْمَوْتُ أَقْرَبُ غَايَةٍ
أُنَادِيكُمَا كَيْمَا تُجِيبَا وَتَنْطِقَا
أَمِنْ طَوْلِ نَوْمٍ لَا تَجِيبَانِ دَاعِيًا
قَضَيْتُ بِأَنِّي لَا مُحَالَةً هَالِكٌ
فَلَوْ جُعِلَتْ نَفْسٌ لِنَفْسٍ وَقَايَةً
سَابِكِيكُمَا طَوْلَ الْحَيَاةِ وَمَا الَّذِي
وَلَا بِخَزَاقٍ مِنْ نَدِيمٍ سَوَاكُمَا^(١)
طَوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يَجِيبُ صَدَاكُمَا^(٢)
كَأَنَّ الَّذِي يَسْقِي الْعَقَارَ سَقَاكُمَا
أَخًا لَكُمَا أَشْجَاهُ مَا قَدْ شَجَاكُمَا^(٣)
فَلَسْتُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ مَوْتٍ جَفَاكُمَا
فَلِإِلَّا تَنَالَاهَا تُرَوُّ ثَرَاكُمَا^(٤)
بِجَسْمِي فِي قَبْرَيْكُمَا قَدْ أَتَاكُمَا
وَلَيْسَ مَجَابًا صَوْتُهُ مَنْ دَعَاكُمَا
خَلِيلِي مَا هَذَا الَّذِي قَدْ دَهَاكُمَا^(٥)
وَأَنِّي سَيَعْرُونِي الَّذِي قَدْ عَرَاكُمَا
لَجَدْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَكُونَ فِدَاكُمَا
يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوْلَةٍ إِنْ بَكََاكُمَا^(٦)

* * *

وهناك روايات أخرى في مناسبة هذه القصيدة منها: قال عيسى بن قدامة الأسدي، وكان قدم قاسان (مدينة على حدود الترك)، وكان له نديمان فماتا، وكان يجيء فيجلس عند القبرين، وهما براوند في موضع يقال له خزاق، فيشرب ويصب على القبرين حتى يقضي وطره، ثم ينصرف

(١) راوند: بلدة قرب أصفهان. خزاق: اسم موضع.

(٢) أقيم: أبقى. بارحًا: مغادرًا.

(٣) القفول: العودة.

(٤) الثرى: التراب.

(٥) دهاكما: أصابكما.

(٦) العولة: حرارة الحزن.

وينشد وهو يشرب (القصيدة).

وقيل أيضًا: إن ثلاثة نفر من أهل الكوفة كانوا في الجيش الذي وجهه الحجاج إلى الديلم، وكانوا يتنادمون لا يخالطون غيرهم، وبينما هم على ذلك مات أحدهم فدفنه صاحبه، وكانا يشربان عند قبره، فإذا بلغه الكأس (أي على الذي مات) صبَّها على قبره وبكى. ثم إن الثاني مات، فدفنه الباقي إلى جنب صاحبه، وكان يجلس عند قبريهما، فيشرب ويصب الكأس على الذي يليه، ثم على الآخر وبكى. وقال (القصيدة).

* * *

الباب الثالث:

من الشعر الوجدانيّ
في عصر صدر الإسلام

حطان بن المعلّى

فَنَشْنَا كَثِيرًا عَنْ تَرْجَمَةِ لِهَذَا الشَّاعِرِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، فَلَمْ نَقْعْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تَرْجَمَتِهِ، سِوَى قَوْلِ خَيْرِ الدِّينِ الزَّرْكَبِيِّ فِي كِتَابِهِ «الْأَعْلَامُ»، الْجُزْءُ الثَّانِي، ص ٢٣٦: «حُطَّانُ بْنُ الْمُعَلَّى شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ. اشتهر بقصيدة له، منها:

وَأَمَّا أَوْلَادُنَا حَوْلَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
إِنْ هَبَّ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ تَمْتَنِعُ الْعَيْنُ مِنَ الْغَمْضِ
«وهي في ديوان الحماسة». والواقع أنَّ القصيدة المشار إليها تقع في سبعة أبيات. وقد أثبتها أبو تمام في كتابه «الحماسة»، كما أثبتها كلٌّ من الخطيب التبريزي، والمرزوقي في كتابه «شرح ديوان الحماسة». وفيما يلي هذه القصيدة:

* * *

لولا بُنَيَات

أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إِلَى خَفْضٍ
وَعَالَنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الْغِنَى فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى عِزِّضِي^(١)

(١) غالني الدهر: أخذه من حيث لا يدري.

أبكاني الدهرُ ويا زُبما أضحَكَنِي الدهرُ بما يُرضي
لولا بُنَيَّاتُ كَزُغِبِ القُطا يَزْدُذَنُ من بعضٍ إلى بعضٍ^(١)
لَكَانَ لي مُضْطَرَّبٌ واسعٌ في الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ
وإنما أولادُنا بيئنا أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هَبَّتِ الرِّيحُ على بَغْضِهِمْ لَامْتَنَعَتْ عَيْنِي عن الغمضِ

* * *

(١) الزغب: صغار الريش. القطا: نوع من الطيور.

متمم بن نويرة

هو متمم بن نويرة بن جمرة اليربوعي التميمي (١٠٠٠ - نحو ٥٣٠هـ/ نحو ٦٥٠م) شاعر فحل، صحابي، من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والإسلام. قُتل أخوه مالك في حرب الردة، فرثاه رثاءً حاراً، وظل يبكيه حتى ابيضت عيناه من الحزن، وحتى أسخط عمر بن الخطاب على ما كان من قتل خالد بن الوليد له، وصار ندبه لأخيه مصير الأمثال، ومن بديع قوله فيه :

هذا كله قبر مالك

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ صَدِيقِي لَتَذُرَابِ الدَّمُوعِ السَّوَابِكِ
يَقُولُ: أَتُنْكِ كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتُهُ لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالدُّكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الشَّجَى يَبْعَثُ الشَّجَى فَدَعْنِي، فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

وكنّا كندمانى جذيمة

أَبَى الصَّبْرَ آيَاتٍ أَرَاهَا وَإِنِّي أَرَى كُلَّ حَبْلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا^(١)
وَإِنِّي مَتَى مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَا تُجِيبُ وَكُنْتُ حَرِيًّا أَنْ تُجِيبَ وَتَسْمَعَا

(١) أقطع: مقطوع.

تَحِيَّتُهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِيَا
فَإِنْ تَكُنِ الْإَيَّامُ فَرَّقَنَ بَيْنَنَا
وَكُنَّا كَنُذْمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا
وَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى أَصَابَ مُتَالَعَا
وَأَمْسَى تُرَابًا فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلَقَعَا^(١)
فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي حِينَ وَدَّعَا^(٢)
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ: لَنْ يَتَّصِدَّعَا^(٣)
لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ يَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
أَوِ الرُّكْنِ مِنْ سَلَمَى إِذْ لَتَضَعُضَعَا^(٤)

* * *

(١) بلقع: أرض قفر.

(٢) بان: فارق.

(٣) جذيمة هو جذيمة الأبرش ناذم مالكًا وعقيلًا ابني فارح بن كعب ثم قتلها. يتصدعا: يتفرقا.

(٤) متالع وسلمى: جبلان.

الباب الرابع:

من الشعر الوجدانيّ في العصر الأمويّ

جميل بثينة

هو جميل بن عبد الله بن معمر من قبيلة عذرة المشهورة بالجمال والعشق، والنازلة في وادي القرى^(١). وُلد في أغلب الظن في أواخر خلافة عثمان بن عفان، في بيت عزّ وجاه. ولع بحبّ قريبة له تدعى «بثينة»، فُسب إليها، فعُرف بـ«جميل بثينة». تعلّق بها إثر حادثة ذكرها في شعره وهي أنّه أقبل يوماً بإبله حتى أوردتها وادي بغيز، واضطجع. وأقبلت بثينة ومرت على فصال^(٢) له، فنقّرتها، فسبّها جميل، فبادلته السباب. فكان هذا السباب بداية حبّ جارف، وفي ذلك يقول:

وأول ما قاد المودة بيننا بوادي بغيز يا بُثَيْن سبابُ
فقلنا لها قولاً فجاءت بمثلِهِ لكلّ خطابٍ يا بُثَيْن جوابُ
ولمّا جاء يخطبها إلى أبيها، صده، لأنّه شبّب بها، على عادة أهل زمانه، فزوّجها برجل آخر. فكانت الصدمة عنيفة جدّاً في نفسه، وازداد ولعه بها، فلامه أبوه ولكنه لم يرتدع، بل ظلّ يذكرها في شعره ويتردّد إلى بيتها خفية.

شكاه أهلها إلى مروان بن الحكم والي المدينة إذ ذاك، فأهدر دمه.

(١) هو واد في الحجاز على الطريق بين الشام والمدينة. سمي بـ«وادي القرى» لكثرة القرى المنتشرة فيه.

(٢) الفصال: ج الفصيل، وهو ولد الناقة وقد فصل عن أمه.

وهرب جميل إلى الشام فمصر حيث توفي سنة ٨٢هـ / ٧٠١م.

لقد فرح الواشون

لَقَدْ فَرَحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي يَقُولُونَ: مَهْلًا يَا جَمِيلُ وَإِنِّي
بُشِينَةٌ أَوْ أَبَدْتُ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ^(١) أَجْلَمًا؟ فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ أَوَانُهُ
لَأَقْسِمُ مَا لِي عَنْ بُشِينَةٍ مِنْ مَهْلٍ وَلَوْ تَرَكْتَ عَقْلِي مَعِيَ مَا طَلَبْتُهَا
أَمْ أَخْشَى فَقَبْلَ الْيَوْمِ أُوْعِدْتُ بِالْقَتْلِ^(٢) إِذَا مَا تَرَاَجَعْنَا الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا
وَلَكِنْ طَلَابِيهَا لِمَا فَاتَ مِنْ عَقْلِي^(٣) كِلَانَا بَكَى أَوْ كَادَ يَتَكِي صَبَابَةً
جَرَى الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي بُشِينَةً بِالْكُحْلِ^(٤) فَيَا وَيْحَ نَفْسِي حَسْبُ نَفْسِي الَّذِي بَهَا
إِلَى الْإِفْرِ وَأَسْتَعْجَلْتُ عِبْرَةً قَبْلِي^(٥) أَرَانِي لَا أَلْقَى بُشِينَةً مَرَّةً
وَيَا وَيْحَ أَهْلِي مَا أَصِيبُ بِهِ أَهْلِي^(٦) خَلِيلِي فِيمَا عَشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا
مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا خَائِفًا أَوْ عَلَى رَحْلِ^(٧) فَإِنْ وَجَدْتَ نَعْلَ بَارِضٍ مُضِلَّةً
قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي^(٨) أَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِيهَا
مِنْ الْأَرْضِ يَوْمًا فَاعْلَمِي أَنَّهَا نَعْلِي^(٩) أَيْتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِيهَا
وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذَوْوُ فَضْلٍ^(١٠)

(١) الواشون: ج الواشي، وهو النمام المفسد. صرمت: قطعت. حبلي: حبي.

(٢) أحلماً: أعقلاً. أوعدت: هددت. وهنا إشارة إلى إهدار دمه من قبل الوالي.

(٣) طلابيها: أي طلبتي بشينة.

(٤) تراجعنا: تداولنا.

(٥) الصبابة: الحب، العبرة: الدمعة.

(٦) يا ويح نفسي: أي يا لمصيبتي!

(٧) الرحل: ما يجعل على ظهر الناقة، أو السرج للجواد، وهنا بمعنى السفر.

(٨) خليلي: صديقي. ومخاطبة المثنى تقليد للشعراء الجاهليين.

(٩) مضلة: يضل السائر فيها.

(١٠) أبيت: أنام. الهلاك: الفقراء أو الصعاليك. موسعون: أثرياء.

داعي الحب

عَاوِذْتُ مِنْ جُمْلٍ قَدِيمٍ صَبَابَتِي وَأَخْفَيْتُ مِنْ وَجْدِي الَّذِي كَانَ خَافِيَا^(١)
 وَرَدَّ الْهَوَى أَثْنَانُ حَتَّى اسْتَفْزَنِي مِنَ الْحَبِّ مَعُطُوفَ الْهَوَى مِنْ بِلَادِيَا^(٢)
 أَتَعَذَّرُ لَا بَلَّ لَا مُحَالَةً أَنَّهُ مَلُومٌ إِذَا ذُو الشَّيْبِ رَامَ التَّصَابِيَا^(٣)
 حَبِيبٌ دَعَا عَنْ طَوْلِ لَيْلٍ حَبِيبُهُ صَبَا صَبُوءَةً لَمَّا أَطَالَ التَّقَايَا
 إِذَا قُلْتُ: أَنْسَاهَا تَرَدَّدَ حُبُّهَا كَذِي الدِّينِ يَقْضِي مَغْرَمًا كَانَ كَالِيَا^(٤)
 أَقُولُ لِدَاعِي الْحَبِّ وَالْحِجْرُ بَيْنَنَا وَوَادِي الْقَرْى: لَيْتِكَ لَمَّا دَعَانِيَا^(٥)
 كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ نَأْيٌ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ تَلَاقٍ وَلَكِنْ لَا إِخَالَ تَلَاقِيَا^(٦)
 خَلِيلِي إِنْ لَمْ تَبْكِيَا لِي أَلْتَمِسَنَّ خَلِيلًا إِذَا أَنْزَفْتُ دَمْعًا بَكَى لِيَا^(٧)
 وَقَالَ خَلِيلِي: إِنْ تِمَاءٌ مَوْعِدٌ لَيْتُنَّ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَايَا^(٨)
 فَهَذَا شَهْوَرُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ أَنْقَضَتْ فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بَلِيلِي الْمَرَامِيَا^(٩)
 أَلَمْ تَكْ إِذْ أَهْلِي وَأَهْلُكَ جِيرَةٌ تَخْبِرُنِي إِنْ بَنْتُ إِلَّا تَلَاقِيَا^(١٠)
 ذَرِي رَدَّ قَوْلٍ قَدْ مَضَى كُنْتُ قَلْتُهُ وَلِغَتٍ بِهِ أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِيَا^(١١)

(١) الصبابة: شدة الشوق. وجدي: شدة حبي وحرقة فؤادي.

(٢) أثنان: اسم موضع بالشام. استفزني: أثارني وهيجني.

(٣) التصابي: تكلف الهوى، أو الميل إلى الفتوة.

(٤) يقضي: يفي. المغرم: الدين. الكالي: المتأخر.

(٥) الحजर: ديار ثمود. وادي القرى: مكان تقطنه بشينة.

(٦) النأي: الفراق.

(٧) أنزف الدمع: أفناه.

(٨) ألقى المراسي: حل.

(٩) النوى: الفراق.

(١٠) بنت: ابتعدت.

(١١) ذري: اتركي. الضلة: الضلال، أو الهفوة.

وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شَتَّ كَذَرْتِ عِشْتِي
وَأَنْتِ الَّتِي مَا مِنْ صَدِيقٍ وَلَا عَدِي
فَإِنَّكَ لَوْ تَجْلِينَ نَحْوَ تَهَامَةٍ
وَقَدْ خَفْتُ أَنْ يَغْتَرَنِي الْمَوْتُ بَغْتَةً
وَإِنِّي لَتَنْسِينِي الْحَفِیْظَةُ كُلَّمَا
أَلَّمْتُ تَعْلَمِي يَا عَذْبَةَ الرِّيقِ أَنَّنِي
وَمَا زِلْتُ بِیَ يَا بَشْنَ حَتَّى لَوْ أَنَّنِي
إِذَا خَدَرْتُ رِجْلِي وَقِيلَ شَفَاؤُهَا
وَمَا زَادَنِي النَّأْيُ الْمَفْرَقُ بَيْنَنَا
وَدَدْتُ عَلَى حَبِيٍّ الْحَيَاةَ لَوْ أَنَّهَا
فَأَقْسَمْتُ لَا أَلْحُو مُحِبًّا وَلَا أَرَى
وَلَا أَعْتَرَنِي عَبْرَةً بَعْدَ فِتْرَةٍ
فَلَا تَسْمَعُوا قَوْلًا لَهُمْ إِنْ تَظَاهَرُوا
فَمَا زَادَنِي الْوَاشُونَ إِلَّا صَبَابَةً

وَأِنْ شَتَّ بَعْدَ اللَّهِ أَنْعَمْتُ بِأَلْيَا^(١)
يَرَى نَضْوًا مَا أَبْقَيْتُ إِلَّا رُثْيَا^(٢)
أَوِ الرِّكْنِ مِنْ حُورَانٍ أَصْبَحْتُ جَالِيَا^(٣)
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكَ كَمَا هِيََا^(٤)
لَقَيْتُكَ يَوْمًا أَنْ أَبْثُكَ مَا بَيَا^(٥)
أَظْلُ إِذَا لَمْ أُسَقَ مَاءُكَ صَادِيَا^(٦)
مَنْ الْوَجْدِ اسْتَبَكِي الْحَمَامُ بِكِي لِيَا
دُعَاءُ حَبِيبٍ كُنْتُ أَنْتِ دُعَائِيَا
سَلُّوْا وَلَا طَوْلَ التَّلَاقِي تَقَالِيَا^(٧)
يَزَادُ لَهَا فِي عَمْرُهَا مِنْ حَيَاتِيَا
لَهُ لَاحِيًا إِلَّا دَعْوَتُ الْجَوَازِيَا^(٨)
وَلَا تَدَاعَى الْحُبُّ مَتَّى تَدَاعِيَا^(٩)
عَلَيَّ بَلُومٍ أَنْتِ سَدِّيتُهُ لِيَا^(١٠)
وَلَا زَادَنِي النَّاهُونَ إِلَّا تَمَادِيَا^(١١)

(١) كَذَر العيش: نَعَصه.

(٢) النضو: المهزول.

(٣) تجلين: تترحين، ترحلين.

(٤) يغترني: يصيبني. البغته: المفاجأة.

(٥) الحفيظة: الغضب. أبثك: أظهر لك، أطلعك.

(٦) الصادي: العطشان.

(٧) النأي: الفراق. التتالي: التباغض.

(٨) ألحو: ألوم. الجوازي: الذين يجازون اللائم بمثل ما بي.

(٩) تداعي: كاد ينهار.

(١٠) سدّيته لي: وجهته نحوي، أو سبّيته.

(١١) الراشون: ج الراشي، وهو النمام المفسد. الصبابة: الوجد. التماذي: الدوام على الشيء.

إذا علمت وَجَدِي بِهَا وَصَبَّابِي فَإِنَّ الْمَنِيَا قَاصِدَاتٌ وَشَاتِيَا^(١)
 وَقَالُوا بِهِ دَاءٌ عِيَاءٌ أَصَابَهُ وَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي مَكَانَ دَوَائِيَا^(٢)
 أَمْضُورِيَّةٌ لَيْلَى عَلَى أَنْ أَزُورَهَا وَمَتَّخِذٌ ذَنْبًا لَهَا أَنْ تَرَانِيَا^(٣)
 هِيَ السَّحَرُ إِلَّا أَنْ لِلْسَّحَرِ رُقِيَّةٌ وَإِنِّي لَا أُلْفِي لَهَا الدَّهْرَ رَاقِيَا^(٤)
 أَحَبُّ مِنَ الْأَسْمَاءِ مَا وَافَقَ اسْمَهَا وَأَشْبَهُهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مِدَانِيَا^(٥)

* * *

فلربَّ عارضة

أُبَيِّنُ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتِ فَاسْجُحِي وَخُذِي بِحِظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلِي^(٦)
 فَلَرْبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصَلَّهَا بِالْجَدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِي^(٧)
 فَأَجَبْتُهَا بِالْقَوْلِ بَعْدَ تَسْتُرٍ حَبِّي بَشِينَةً عَنْ وَصَالِكٍ شَاغِلِي
 لَوْ كَانَ فِي صَدْرِي كَقَدْرِ قَلَامَةٍ فَضْلٌ وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَتْكَ رَسَائِلِي^(٨)
 وَيَقْلُنَ: إِنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِبَاطِلٍ مِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ
 وَلِبَاطِلٍ مِمَّنْ أَحَبُّ حَدِيثُهُ أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْبَغِيضِ الْبَاذِلِي^(٩)
 لِيُزِلَنَّ عَنْكَ هَوَايَ ثُمَّ يَصِلْتَنِي وَإِذَا هَوَيْتُ فَمَا هَوَايَ بِزَائِلِ

(١) المنيا: ج المنية، وهي الموت.

(٢) الداء العياء: المرض العضال، أي الذي لا يشفى منه الإنسان.

(٣) مضروبة: مهانة.

(٤) ألفي: أجد.

(٥) المداني: القريب.

(٦) اسجحي: أجملني، أحسنني. الواصل: الذي يصل.

(٧) الهازل: المازح.

(٨) القلامة: أي قلامة الظفر، وهي ما يسقط منه. وهي كناية عن الخسة والجفارة.

(٩) الباذل: السخي، الكريم.

صَادَتْ فَوَادِي يَا بُنَيْنَ حِبَالُكُمْ
مَنْيْتِنِي فَلَوَيْتَ مَا مَنَيْتِنِي
وَتَثَاقَلْتُ لَمَّا رَأَيْتُ كَلْفِي بِهَا
وَأَطْعَمْتُ فِي عَوَازِلَ فَهَجَرْتَنِي
حَاوَلْتَنِي لِأَبْتُ حَبْلَ وَصَالِكُمْ
فَرَدَدْتُهُمْ وَقَدْ سَعَيْنَ بِهَجْرِكُمْ
يَمْشِينَ حَوْلَ عَقِيلَةٍ مَنْسُوبَةٍ
يَغْضُضْنَ مِنْ غَيْظِ عَلَيَّ أَنَامِلًا
وَيَقْلُنَ: إِنَّكَ يَا بُنَيْنَ بِخَيْلَةٍ
يَوْمَ الْحَجُونِ وَأَخْطَأْتُكَ حِبَالِي^(١)
وَجَعَلْتُ عَاجِلَ مَا وَعَدْتُ كَآجِلِي^(٢)
أَخْبَيْتُ إِلَيَّ بِذَاكَ مِنْ مُتَثَاقِلِ^(٣)
وَعَصَيْتُ فَيْكَ وَقَدْ جَهَدَنْ عَوَازِلِي^(٤)
مَتْنِي وَلَسْتُ وَإِنْ جَهَدَنْ بِفَاعِلِ^(٥)
لَمَّا سَعَيْنَ لَهُ بِأَفُوقَ نَاصِلِي^(٦)
كَالْبَدْرِ بَيْنَ دِمَالِجٍ وَخِلَافِ
وَوَدِدْتُ لَوْ يَغْضُضْنَ صَمَّ جِنَادِلِي^(٧)
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَنِينِ بَاخِلِي^(٨)

* * *

أَفِي النَّاسِ أَمْثَالِي

أَلَمْ تَسْأَلِ الدَّارَ الْقَدِيمَةَ: هَلْ لَهَا
سَلْيِي الرُّكْبَ: هَلْ عُجْنَا لِمَعْنَاكِ مَرَّةً
يَا أُمَّ حُسَيْنٍ^(٩)، بَعْدَ عَهْدِكَ، مِنْ عَهْدِ؟
صُدُورَ الْمَطَايَا، وَهِيَ مَوْقِرَةٌ تُخْدِي^(١٠)

(١) الحجون: اسم جبل في مكة.

(٢) منيتني: وعدتني. لويت: أخلفت.

(٣) تثاقلت: ثلثت. الكلف: شدة الحب.

(٤) العوازل: ج العاذل، وهو اللأثم.

(٥) أبت: أقطع.

(٦) الأفوق: السهم الذي فيه انكسار أو ميل في أحد طرفيه. الناصل: الذي لا نصل له.

(٧) الأنامل: أطراف الأصابع. الجنادل: ج الجندل، وهو الصخرة، أو الحجر الكبير.

(٨) الضنين: البخيل.

(٩) أم حسين: كنية أخت بثينة، أو هي أم الجسير على اختلاف روايات الأغاني.

(١٠) الركب: الراكبون. عجنا صدور المطي: عطفناها. المغنى: المنزل. موقرة: مُحَمَّلَةٌ

وَهَلْ فَاضَتْ الْعَيْنُ الشَّرِيقَ بِمَائِهَا
وَلِأَنِّي لَأَسْتَجِرِي لَكَ الطَّيْرَ جَاهِدًا
وَلِأَنِّي لَأَسْتَبْكِي، إِذَا الرُّكْبُ غَرَّدُوا
فَهَلْ تَجْزِيئِي أُمُّ عَمْرٍو بِوُدِّهَا،
وَكُلُّ مُحِبٍّ لَمْ يَزِدْ فَوْقَ جُهْدِهِ
إِذَا مَا دَنَتْ زِدَتْ اشْتِيَاقًا، وَإِنْ نَأَتْ
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبًّا بَشْنَةً لَمْ يُرَدْ
تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا
وَمَا وَجَدْتُ وَجْدِي بِهَا أُمُّ وَاحِدٍ،
وَلَا وَجَدَ الْعُذْرِيُّ عُرْوَةً^(٥)، إِذْ قَضَى
عَلَى أَنَّ مَنْ قَدْ مَاتَ صَادَفَ رَاحَةً،
أَفِي النَّاسِ أَمْثَالِي أَحَبُّوْا، فَحَالُهُمْ
وَهَلْ هَكَذَا يَلْقَى الْمُحِبُّونَ مِثْلَ مَا
يَغُورُ^(٦)، إِذَا غَارَتْ فُؤَادِي، وَإِنْ تَكُنْ
أَتَيْتُ بَنِي سَعْدِ صَحِيحًا مُسَلِّمًا،

لَأَخْلِكَ، حَتَّى أَخْضَلَ مِنْ دَمْعِهَا بُرْدِي
لِتَجْرِي بَيْنِي مِنْ لِقَائِكَ أَوْ سَعْدِ
بِذِكْرِكَ، أَنْ يَحْيَا بِكَ الرُّكْبُ إِذْ يَخْدِي^(١)
فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى بِهَا فَوْقَ مَا أُبْدِي
وَقَدْ زِدْتَهَا فِي الْحُبِّ مَنِيَّ عَلَى الْجُهْدِ^(٢)
جَزَعْتُ لِنَائِي الدَّارَ مِنْهَا وَلِلْبُعْدِ
سِوَاهَا، وَحُبُّ الْقَلْبِ بَشْنَةً لَا يُجْدِي
وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نِطَافًا وَفِي الْمَهْدِ^(٣)
وَلَا وَجَدَ النَّهْدِيُّ^(٤) وَجْدِي عَلَى هُنْدِ
كَوَجْدِي، وَلَا مَنْ كَانَ قَبْلِي وَلَا بَعْدِي
وَمَا لِفُؤَادِي مِنْ رَوَاحٍ وَلَا رُشْدِ
كَحَالِي، أَمْ أَحْبَبْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ وَخْدِي؟
لَقِيتُ بِهَا، أَمْ لَمْ يَجِدْ أَحَدٌ وَجْدِي
بِنَجْدِ، يَهُمُّ مَنِيَّ الْفُؤَادُ إِلَى تَجْدِ
وَكَانَ سِقَامَ الْقَلْبِ حُبُّ بَنِي سَعْدِ

* * *

(١) يخدي: يُسرِع.

(٢) الجهد: الطاقة.

(٣) النطاف: جمع نطفة، وهي المني (ماء التناسل).

(٤) النهدي: عبدالله بن عجلان النهدي شاعر جاهلي، وأحد المتيمنين من الشعراء الذين قتلهم الحب، وكان يشبب بصاحبه هند.

(٥) عروة: هو عروة بن جزام العذري أحد عشاق العرب المشهورين، كان في زمن معاوية، أحب ابنة عمه عفراء بنت مالك، وتغزل بها في شعره ولم يزوجه عمه فمات مسلولًا.

(٦) يغور: يأتي الغور من تهامه.

قيس لبنى

هو قيس بن ذريح بن سته، وُلد في بيت عزيز بين قومه، غير أنَّ المصادر لم تذكر تاريخ ولادته، ولكنها تشير إلى أنه كان رضيع الحسين بن عليّ الذي وُلد سنة ٤هـ أو ٦هـ.

أحبّ لبنى بنت الحباب الكعبية، وهي من خزاعة. وسبب ولوعه بها أنه مرّ لبعض حاجته بخيام بني كعب، طالبًا الماء، فسقته امرأة مديدة القامة حلوة الكلام، فعلق بها. ولما أعلم والده بالأمر أبى عليه قائلًا: يا بنيّ عليك بإحدى بنات عمّك، فهي أحقّ بك. ثم عاد وشكا أمره إلى أمّه، فلم يجد عندها ما يحبّ. وبعد إصرار زفّت لبنى إليه وعاشا حياة سعيدة هنيئة، ولكن لم ينجبا. فطلب منه والده أن يطلق لبنى، ويتزوّج من سواها، علّها تنجب له ولدًا. فرفض بادیء الأمر، ولما أصرّوا عليه طلقها. ولما بانّت عنه ازداد ولهه بها، ولحقه مثل الجنون.

وحاول أهله أن يزوّجوه بفتاة أخرى، فتزوّج بفتاة، ولكنّه لم يقربها، بل ظلّ يتردّد إلى حيّ مطلّقتها، فشكاه أبوها إلى معاوية، فأهدر دمه إن ألمّ بها. ولما بلغه الأمر قال:

فإن يحجبوها أو يحلّ دون وصلها مقالة واشٍ أو وعيدٌ أميرِ
فلن يمنعوا عينيّ من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجنّ ضميري
واختلفت الروايات في نهاية حبّهما اختلافًا كبيرًا، فذكر أكثرهم أنّهما

ماتا مفترقين؛ وذكرت جماعة أنه مات قبلها، ولما بلغها الخبر ماتت عليه أسفاً. وقالت جماعة أخرى أنها ماتت قبله، ثم مات بعدها أسفاً عليها وذلك بحدود ٦٨هـ/٦٨٨م.

* * *

مصائب الدهر

بانتُ لُبِّي فهاجَّ القلبُ مَنْ بانا وكان ما وَعَدْتُ مَطْلًا وَلِيَانَا^(١)
وأخْلَفْتَكْ مَنَى قَدْ كُنْتَ تَأْمُلُهَا فأصْبَحَ القلبُ بَعْدَ الْيَمِينِ حِيرَانَا
اللهُ يَذْرِي وما يَذْرِي بهِ أَحَدٌ ماذا أَجْمَعُ مِنْ ذِكْرِكِ أَحْيَانَا^(٢)
يا أَكْمَلَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَدَمٍ وأَحْسَنَ النَّاسِ ذَا ثَوْبٍ وَعَرِيَانَا^(٣)
لا بَارَكَ اللهُ فِيمَنْ كَانَ يَحْسَبُكُمْ إِلَّا عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَانَ مَا كَانَا
قَدْ زَارَنِي طَيْفُكُمْ لَيْلًا فَأَرْقَنِي فَبْتُ لِلشَّوْقِ أَذْرِي الدَّمْعَ تَهْتَانَا^(٤)
إِنْ تُصْرِمِي الْحَبْلَ أَوْ تُمْسِي مُفَارِقَةً فالدهرُ يُحَدِّثُ لِلْإِنْسَانِ أَلْوَانَا^(٥)
وما أَرَى مِثْلَكُمْ فِي النَّاسِ مِنْ بَشِيرٍ فَقَدْ رَأَيْتُ بِهِ حَيًّا وَنَسْوَانَا

* * *

لا أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ

أَيَا كِبْدًا أَطَارَتْ صُدُوعًا نَوَافِدًا وَيَا حَسْرَتًا مَاذَا تَغْلُغَلُ فِي الْقَلْبِ^(٦)

(١) بانت: فارقت، هجرت. اللَّيَان: المِطْل والتسويق.

(٢) أَجْمَع: أخفي في الصدر.

(٣) الْقَرْن: أعلى الرأس.

(٤) أَرْقَنِي: ألقني. الطيف: الخيال. أَذْرِي الدَّمْع: أسكبه. التهتان: الانصباب.

(٥) تُصْرِمِي الحبل: تقطعي الصلة بي.

(٦) الصدوع: الشقوق.

فأقسم ما غمض العيون شوارف
تشممته لو يستطيعن أرتشفنه
رئمن فما تنحاش منهن شارف
بأوجد متي يوم ولت حمولها
وكل مللمات الزمان وجدتها
إذا افتلتت منك النوى ذا مودة
أذاقتك مر العيش أو مت حسرة
وقلت لقلبي حين لج بي الهوى
ألا أيها القلب الذي قاده الهوى

روائهم بو حائمت على سقب^(١)
إذا سفته يزدذن نكبا على نكب^(٢)
وحالفن حبسا في المحول وفي الجذب^(٣)
وقد طلعت أولى الركاب من النقب^(٤)
سوى فرقة الأحباب هيئة الخطب^(٥)
حييا بتصداع من البين ذي شعب^(٦)
كما مات مسقي الضياح على أل^(٧)
وكلفني ما لا يطيق من الحب^(٨)
أفنى لا أقر الله عيتك من قلب

* * *

ألا حيي لُبني

ألا حيي لُبني اليوم إن كنت غاديا وألِمْ بها من قبل أن لا تلاقيا^(٩)

(١) الشوارف: ج الشارقة، وهي الناقة المستة. الروائم: ج الرائمة، وهي التي تعطف على الأولاد. البو: جلد ولد الناقة الميت، يحشى بالتبن وغيره، ويقرب من أمه لتدبر. السقب: ولد الناقة.

(٢) سفته: شممه. النكب: المصيبة.

(٣) رئمن: عطفن. تنحاش: تبتعد. المحول: الجذب.

(٤) بأوجد: بأحزن. النقب: الطريق.

(٥) المللمات: ج الملمة، وهي المصيبة. الخطب: المصيبة.

(٦) افتلتت: أخذت بسرعة. النوى: الفراق. التصداع والشعب: التفرق.

(٧) الضياح: اللبن الخائر، يصب في الماء ثم يقلب. الأل: العطش، أو السم، أو شدة الحر.

(٨) لج: ألح.

(٩) الغادي: الذهاب في الغداة. ألم بها: زرها.

وأهدير لها منك النصيحة إنها
وقل: إنني والراقصات إلى متى
أصونك عن بعض الأمور مفضة
تساقط نفسي حين ألقاك أنفسا
فإن أحي أو أهيك فلسف بزائل
أقول إذا نفسي من الوجد أضعدت
وبين الحشا والنحر متي حرارة
ألا ليت لبتى لم تكن لي خلّة
سلي الناس هل خبّرت سيرك منهم
وأخرج من بين البيوت لعلي
وإني لأستغشي وما بي نغسة
يقول لي الواشون لما تظاهروا
لعمري لقبل اليوم حملت ما ترى
خليلي ما لي قد بليت ولا أرى
ألا يا غراب البين ما لك كلما

قليل ولا تخش الوشاة الأذانيا^(١)
بأجل جمع ينتظرن المناديا^(٢)
وأخشي عليك الكاشحين الأعاديا^(٣)
يرذن فما يصدزن إلا صواديا^(٤)
لكم حافظا ما بل ريق لسانيا
بها زفرة تغتاذني هي ما هيا
ولوعة وجد ترك القلب ساهيا^(٥)
ولم ترني لبتى ولم أذر ما هيا^(٦)
أخا ثقة أو ظاهر الغش باديا
أحدث عنك النفس في السر خاليا
لعل خيالاً منك يلقي خياليا^(٧)
عليك وأضحى الجبل للبين واهيا^(٨)
وألذرت من لبتى الذي كنت لاقيا
لبتى على الهجران إلا كما هيا
ذكرت لبتى طرت لي عن شماليا^(٩)

- (١) الوشاة: ج الواشي، وهو النمام المفسد. الأذانيا: الأقربين.
(٢) الراقصات: أي الإبل التي تسير بسرعة وكأنها ترقص. أجل جمع: اسم موضع.
(٣) المضفة: البخل. الكاشحون: ج الكاشح، وهو الذي يضمير البغض والعداوة.
(٤) تساقط: أي تساقط. يردن: يقصدن الماء. يصدزن: يرجعن عن الماء. الصوادي: ج الصادية وهي العطشى.
(٥) النحر: أعلى الصدر. الساهي: المندهل.
(٦) الخلّة: الصديقة.
(٧) أستغشي: أطلب النوم.
(٨) الواشون: ج الواشي، وهو النمام المفسد. البين: الفراق. الواهي: الضعيف.
(٩) في هذا البيت إشارة إلى تشاؤم العرب بالطير الذي يطير عن شمال المرأة.

أعندك علم الغيب أم لست مُخبري
 فلا حَمَلْتُ رِجْلَكَ عِشًّا لَبِيضَةً
 أَحَبُّ من الأسماء ما وافق اسمها
 وما ذُكِرَتْ عندي لها من سَمِيَّةٍ
 جَزِعْتُ عليها لو أرى لي مجزَعًا
 حياتك لا تُغَلِّبُ عليها فإِنَّهُ
 أشوقًا ولَمَّا تمضِ لي غيرُ ليلةٍ
 تمرَّ الليالي والشهورُ ولا أرى
 فقد يجمعُ الله الشَّيْئَيْنِ بَعْدَما
 فما عن نوالٍ من لَبِيئِي زيارتي
 ولكنَّها صَدَّتْ وَحُمِلْتُ من هوى

عَنِ الْحَيِّ إِلَّا بِالَّذِي قَدْ بَدَأَ لِيَا
 وَلَا زَالَ عَظَمٌ مِنْ جَنَاحِكَ وَاهِيَا
 وَأَشْبَهَهُ أَوْ كَانَ مِنْهُ مُدَانِيَا^(١)
 مِنَ النَّاسِ إِلَّا بَلَّ دَمْعِي رَدَائِيَا
 وَأَفْنَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَوْ كَانَ فَانِيَا^(٢)
 كَفَى بِالَّذِي تَلْقَى لِنَفْسِكَ نَاهِيَا
 رُؤَيْدَ الْهَوَى حَتَّى يَغُبَّ لِيَالِيَا^(٣)
 وَلَوْ عَيَّ بِهَا يَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا^(٤)
 يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ إِلَّا تَلَاقِيَا^(٥)
 وَلَا قِلَّةُ الْإِلَامِ أَنْ كُنْتُ قَالِيَا^(٦)
 لَهَا مَا يُوَوِّدُ الشَّامَخَاتِ الرُّوَاسِيَا^(٧)

* * *

-
- (١) المداني: القريب.
 (٢) جزعت: خفت. المجزع: الجزع. أفنيت: أهلك.
 (٣) يغب: يمضي.
 (٤) التماضي: الدوام والاستمرار.
 (٥) الشئتين: المتفرقين، المفرقين.
 (٦) النوال: العطاء. قلة الإلام: قلة الزيارة. القالي: الكاره.
 (٧) صدت: منعت. يؤود: يرهق. الشامخات: الجبال الشامخة. الرواسي: العظيمة.

مجنون ليلي

هو قيس بن الملوّح بن مزاحم العامري، وُلد في زمن مروان بن الحكم الذي توفي في حدود ٦٥هـ. أحبّ ليلي بنت سعد من بني ربيعة وأحبّته، وهما بعد صغيران يرعيان المواشي على سفح جبل «التوباد»، ولَمّا كبرا، وكثر تردّد قيس إلى ديارها، حجبها أبوها، خاصة بعد أن صار عشقه حديث الناس لما أنشد فيها من أشعار.

أثار هذا التصرف غضب قيس، وأصرّ على حبّه لها، فلامه أهله، وحاولوا منعه، فلم يمتنع، بل ظلّ يغشى ديارها، فشكاه أبوها إلى السلطان الذي أهدر دمه. ورغم ذلك لم يرتدع ممّا أجبر أهله على الرحيل. ثم أكرهت ليلي على الزواج من ورد بن محمد. ولَمّا بلغ قيسًا الخبر هام على وجهه، وتوحّش منشداً الأشعار، وكان يُرى تارةً في الشام وطورًا في نجد، وأخرى في الحجاز، إلى أن وجد أخيرًا ميتًا في وادٍ كثير الأحجار، فحملوه ودفنوه بعد أن غسلوه وكفّنوه، وكان ذلك في حدود ٦٨هـ/٦٨٨م.

* * *

حمَامَاتِ بطوق

أَجِدُّكَ يَا حَمَامَاتِ بطوقِ فقد هَيَجَتْ مَشْغُوفًا حَزِينًا^(١)
 أَغْرَكَ يَا حَمَامَاتِ بطوقِ بَأْتِي لَا أَنَامُ وَتَهْجَعِينَا^(٢)
 وَإِنِّي قَدْ بَرَّانِي الْحُبُّ حَتَّى ضَنَنْتُ وَمَا أَرَاكَ تَغْيِرِينَا^(٣)
 أَرَادَ اللَّهُ مَخْلُوكَ فِي السَّلَامِ إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشْوَقِينَا^(٤)
 وَلَسْتُ وَإِنْ حَنَنْتِ أَشَدَّ وَجْدًا وَلَكِنِّي أُسِيرُ وَتُغْلِبِينَا^(٥)
 وَبِي مِثْلُ الَّذِي بِكَ غَيْرَ أَتِي أَحِلُّ عَنْ الْعَقَالِ وَتَغْلِبِينَا^(٥)
 أَمَّا وَاللَّهِ غَيْرَ قَلْبِي وَبَغْضٍ أُسِيرُ وَلَمْ أَزَلْ جَزِعًا حَزِينًا^(٦)
 لَقَدْ جَعَلْتُ دَوَاوِينَ الْغَوَانِي سَوَى دِيوَانٍ لَيْلَى يَمْحِينَا^(٧)
 فَقَدِمَا كُنْتُ أَزْجِي النَّاسَ عِنْدِي وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى مَا تَطْلُبِينَا^(٧)
 أَلَا لَا تَنْسِينَ رِوَعَاتِ قَلْبِي وَعِضْيَانِي عَلَيْكَ الْعَاذِلِينَا^(٧)

المؤنسة

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّنِينَ الْخَوَالِيَا وَأَيَّامَ لَا نَخْشَى عَلَى اللَّهِوِ نَاهِيَا^(٨)
 وَيَوْمَ كَظَلَّ الرَّمَحُ قَصْرَتْ ظِلُّهُ بَلَيْلَى فَلَهَّانِي وَمَا كُنْتُ لَاهِيَا

(١) الجَدُّ: الحظُّ. هَيَجَتْ: أثرت. المشغوف: المولع والمحب.

(٢) تهجعين: تنامين.

(٣) براني: أتلفني، أهزلني تغيرين: تتغيرين.

(٤) المحل: الجذب. السلمي: عظم صغير مجوف.

(٥) العقال: الرباط.

(٦) القلى: البغض. الجزع: الخائف.

(٧) العصيان: المعاندة. العاذلين: اللاتمين.

(٨) الخوالي: الماضية. الناهي: المانع.

بِمَدِينٍ لَاحِثٍ نَارَ لَيْلَى وَصُخْبَتِي
فَقَالَ بَصِيرُ الْقَوْمِ أَلَمَحْتُ كَوْكَبًا
فَقَالَ لَهُ: بَلْ نَارُ لَيْلَى تَوَقَّدَتْ
فَلَيْتَ رِكَابَ الْقَوْمِ لَمْ تَقْطَعْ الْغُضَى
فِيَا لَيْلُ كَمْ مِنْ حَاجَةٍ لِي مُهِمَّةٍ
خَلِيلِيَّ إِنْ لَا تَبْكِيَانِي أَلْتَمِسُ
فَمَا أَشْرَفُ الْأَيْفَاعِ إِلَّا صَبَابَةٌ
وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّتِيتَيْنِ بَعْدَمَا
لَحَى اللَّهُ أَقْوَامًا يَقُولُونَ إِنَّا
إِذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلَسًا نَسْتَلِذُهُ
خَلِيلِيَّ لَا وَاللَّهِ لَا أَمْلُكَ الَّذِي
قَضَاهَا لَغِيرِي وَابْتَلَانِي بِحَبِّهَا
وَحَبَّرْتُمَانِي أَنَّ تَيْمَاءَ مَنْزِلٍ
فَهَذَا شَهْوَرُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ
فَلَوْ أَنَّ وَاشِرَ بِالْإِمَامَةِ دَارُهُ

بَذَاتِ الْغُضَى تُزْجِي الْمَطْيَى النَوَاجِيَا^(١)
بَدَا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ قَرْدًا يَمَانِيَا
بَعْلِيَا تَسَامَى ضَوْوُهَا فَبَدَا لِيَا
وَلَيْتَ الْغُضَى مَاشَى الرِّكَابَ لِيَالِيَا^(٢)
إِذَا جِئْتُكُمْ بِاللَّيْلِ لَمْ أَدْرِ مَا هِيََا
خَلِيلَا إِذَا أَنْزَفْتُ دَمْعِي بِكِي لِيَا
وَلَا أَنْشُدُ الْأَشْعَارَ إِلَّا تَدَاوِيَا^(٣)
يَظُنَّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا
وَجَدْنَا طَوَالَ الدَّهْرِ لِلْحَبِّ شَافِيَا^(٤)
تَوَاشَوْا بِنَا حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِيَا^(٥)
قَضَى اللَّهُ فِي لَيْلَى وَلَا مَا قَضَى لِيَا
فَهَلَّا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا^(٦)
لِلَّيْلِ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاثِيَا^(٧)
فَمَا لِلنَّوَى تَرْمِي بَلِيلَى الْمَرَامِيَا^(٨)
وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا

(١) ثمدين: اسم موضع. ذات الغضى: اسم موضع. تزجي: تسوق. النواجي: الكريمة.

(٢) الغضى: نوع من الشجر، وهي كناية عن بلاد نجد.

(٣) الأيفاع: ج البقع، وهو التلّ المشرف. التداوي: طلب الشفاء.

(٤) لحي: لعن.

(٥) تواشوا بنا: ذكرونا بالسوء.

(٦) قضاها لغيري: جعلها لغيري.

(٧) ألقى الصيف المراسي: حلّ الصيف.

(٨) النوى: البعاد.

وماذا لهم لا أحسن الله حالهم
 فيا ربّ سوّ الحبّ بيني وبينها
 فإن تمنعوا ليلي وتحموا بلادها
 أحبّ من الأسماء ما وافق اسمها
 ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى
 كئن ظعن الأحباب يا أم مالك
 فيا ربّ إذ صيرت ليلي هي المني
 ولا فبغضها إليّ وأهلها
 على مثل ليلي يقتل المرء نفسه
 خليلي إن ضنوا بليلى فقربا
 من النحظ في تصريح ليلي حباليا^(١)
 يكون كفافا لا عليّ ولا ليا
 عليّ فلن تحموا عليّ القوافيا
 أو أشبهه أو كان منه مدانيا
 إلى من تشيها أو بمن جئت وأشيا
 فما ظعن الحبّ الذي في فؤاديا^(٢)
 فزني بعينيها كما زنتها ليا
 فإني بليلى قد لقيت الدواهيا^(٣)
 وإن كنت من ليلي على اليأس طاويا^(٤)
 لي النعش والأكفان واستغفرا ليا^(٥)

* * *

(١) التصريح: قطع الصلة.

(٢) ظعن: ارتحل.

(٣) الدواهي: ج الداهية، وهي المصيبة.

(٤) طوى الشيء: أخفاه.

(٥) ضنوا: بخلوا.

الصمة بن عبدالله بن الطفيل

هو الصمة بن عبدالله بن الطفيل القشيري (١٠٠- نحو ٩٥هـ/ نحو ٧١٤م) من شعراء العصر الأموي، شاعر غزل، ومن العشاق المتيّمين. كان يسكن بادية العراق، فانتقل إلى الشام. وخرج غازيًا يريد بلاد الديلم، فمات في طبرستان. اشتهر بقصيدته الغزلية الوجدانية التالية.

* * *

حنين

حَتَّثْتُ إِلَى رِيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَاكَ مِنْ رِيَا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجْزِعَ إِنْ دَاعَى الصَّبَابَةَ أَسْمَعًا^(١)
قَفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلُّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرَّبَى وَمَا أَحْسَنَ الْمَصْطَافَ وَالْمُتْرَبَا
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلُّ عَيْنَيْكَ تَذْمَعَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَشَرَ أَعْرَضَ دُونَنَا وَجَالَتْ بَنَاتُ الشَّوْقِ يَحْنَنُ نَزْعًا^(٢)
بَكَتْ عَيْنِي الْيَسْرِي فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْجِلْمِ أَسْبَلْتُهَا مَعَا^(٣)

(١) الصبابة: الحب.

(٢) البشر: اسم جبل في الجزيرة الشامية.

(٣) زجرتها: منعها. الحلم: ضد الجهل.

تَلَقْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا^(١)
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْجَمَى ثُمَّ أَنْتَنِي عَلَى كَبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا^(٢)

* * *

(١) الليت: صفحة العنق. الأخدع: عرق في العنق.

(٢) يقول: أتذكر أيام وصلنا، فأنتني على نفسي خائفاً من أن أموت من شدة التأثر.

جرير

هو أبو حرزة جرير بن عطية الملقب بالخطفي. وُلد باليمامة سنة ٣٣٣هـ/٦٥٣م من أب وضيع بخيل، خامل الذكر، لا شأن له في قبيلته. وضعت أمه في شهرها السابع. ولما شبّ راح يرعى الغنم لأبيه، وقد قال الشعر وهو دون الخامسة عشرة من عمره. اشتهر بالهجاء، وراح يرمي به الخصوم، فذاع صيته بين الناس، ورددت اسمه الركبان. نشبت بينه وبين الفرزدق حرب هجائية دامت خمسين سنة. فكان الشاعر منهما ينظم القصيدة، ويبعث بها إلى خصمه، فينقض الخصم ما جاء فيها بقصيدة ينظمها على الوزن نفسه والروي والقافية نفسها. كما تهاجى مع الأخطل؛ وسميت هذه القصائد «بالنقائض».

تزوج عدّة نساء، وأنجب له عشرة أولاد، كان يجلس إليهم يبصّرهم بالشعر حتى غدوا جميعاً يقرضون الشعر.

اتصل عبر حياته بعدد من الخلفاء، أولهم يزيد بن معاوية، وأتخذه الحجاج بن يوسف شاعره الخاص. كما اتصل بعبد الملك بن مروان وبأخويه سليمان ويزيد. ثم اتصل بعمر بن عبد العزيز. توفي نحو ١١٤هـ/٧٣٣م.

* * *

رثاء امرأته

لَوْلَا الْحَيَاءُ، لَعَادَنِي اسْتِعْبَارُ، وَلَزُرْتُ بَيْتَكَ، وَالْحَبِيبُ يُرَارُ^(١)
وَلَقَدْ نَظَرْتُ، وَمَا تَمَتُّعُ نَظَرَةٍ فِي اللَّخْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْمُخْفَارُ^(٢)
وَلَهْتَ قَلْبِي، إِذْ عَلَتْنِي كَبَرَةٌ، وَذَوُّ التَّمَائِمِ مِنْ بَيْنِكَ صِعَارُ^(٣)
أَرعى النُّجُومَ، وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةٌ، عُصْبُ النُّجُومِ كَأَنَّهُنَّ صُورُ^(٤)
نِعَمَ الْقَرِينِ، وَكُنْتُ عِلَقَ مَضْنَةٍ وَأَرَى بِنَعْفِ بُلْيَةٍ الْأَخْجَارُ^(٥)
عَمَرْتُ مُكْرَمَةَ الْمَسَاكِ وَفَارَقْتُ مَا مَسَّهَا صَلَفٌ وَلَا إِفْتَارُ^(٦)
فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ، بِبُرْقَةٍ ضَاكِ هَزِمَ أَجَشُّ، وَدِيمَةٌ مِذْرَارُ^(٧)
هَزِمَ أَجَشُّ، إِذَا اسْتَحَارَ بِلَدَةٍ فَكَأَنَّمَا بِجَوَائِهَا الْأَنْهَارُ^(٨)
مُتَرَاكِمٌ زَجَلٌ يُضِيءُ وَمِیْضُهُ كَأَلْبَلَقٍ تَحْتَ بُطُونِهَا الْأَمْهَارُ^(٩)
كَانَتْ مُكْرَمَةَ الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ يَخْشَى غَوَائِلَ أُمِّ حَزْرَةَ جَارُ^(١٠)

(١) استعمار: بكاء. بيتك: قبرك.

(٢) المخفار: آلة الحفر.

(٣) ولهة: حزينة أشد الحزن. التمايم: ج تميمه وهي خرزة أو عودنة تُعلق في عنق الولد دفعا للأخطار.

(٤) الغورية: التي تأخذ الغور للغروب والسقوط. العصب: الجماعات: الصوار: قطع بقر الوحش.

(٥) العلق: النفيس من كل شيء. المضنة: ما يضمن به. النعف: أسفل الجبل وأعلى الوادي. بلية: اسم موضع.

(٦) الصلف: الكبرياء. الاقتار: العسر.

(٧) الصدى: كان العرب يعتقدون بأنه يخرج من رأس القنيل طير يسمونه «صدى» يظل عطشان يصيح «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره. الهزم: السحاب الراعد. الأجش: الغليظ الصوت من الرعد. برقة ضاحك: اسم موضع.

(٨) الجواء: ج جو وهو الناحية والجهة.

(٩) زجل: ذو جلبة. البلق: ج أبلق وهو ما كان في لونه سواد وبياض.

(١٠) الغوائل: المصائب. أم حزره: كنية امرأته.

وَلَقَدْ أَرَاكَ كُوسِيَّتٍ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ،
وَالرَّيْحُ طَيِّبَةٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا
وَإِذَا سَرَنْتِ، زَأَيْتِ نَارَكَ نَوْرَتْ
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيَّرُوا
وَعَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ رَبِّكَ كُلَّمَا
يَا نَظْرَةً لَكَ، يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةٌ
تُخَيِّي الرُّوَامِسُ رَنْعَهَا، فَتُجِدُهُ
وَكَأَنَّ مَنَزِلَةً لَهَا، بِحُلَاكِجٍ
لَا تُكْثِرُنَّ، إِذَا جَعَلْتَ تَلُومُنِي،
كَأَنَّ الْخَلِيطُ هُمُ الْخَلِيطُ، فَأَصْبَحُوا
لَا يَلْبَثُ الْقَرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا
وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةٌ وَقَارُ
وَالْعَرَضُ لَا دَنَسَ وَلَا خَوَارُ^(١)
وَجْهًا أَعْرُ، يَزِيئُهُ الْإِسْفَارُ
وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ، وَالْأَبْرَارُ
نَصِبَ الْحَجِيجُ مُلَبِّدِينَ، وَعَارُوا^(٢)
مِنْ أُمِّ حَزْرَةَ، بِالثَّمِيرَةِ دَارُ
بَعْدَ الْبَلَى، وَتُمِيتُهُ الْأَمْطَارُ^(٣)
وَخِي الزُّبُورِ تُجِدُهُ الْأَخْبَارُ^(٤)
لَا يَذْهَبَنَّ بِجِلْمِكَ الْإِكْثَارُ
مُتَبَدِّلِينَ، وَبِالدِّيَارِ دِيَارُ^(٥)
لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

* * *

(١) الخوار: الضعيف.

(٢) نصب: تعب. الحجيج: ج حاج. ملبدين: مقيمين. غار الرجل: نام.

(٣) الروامس: الرياح.

(٤) الزبور: المزامير. تجده: تكتبه فتحكمه.

(٥) الخليط: القوم المختلطون بالمجاورة. المعنى: ذهب الدين أحبهم.

الباب الخامس:

من الشعر الوجداني
في العصر العباسي

الشريف الرضي

هو أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسى . وُلد في بغداد سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م . أصله شريف يرتقي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب . إليه انتهت نقابة الأشراف في حياة والده .

كان يطمح إلى الخلافة ، وكان أبو إسحق الصابي ، الكاتب المشهور يطمعه فيها . تولّى إمارة الحجّ ، وشهد مواسم العيد ، وفيها النساء الوافدات من جميع البلدان ، فحرّك هذا المشهد أوتار قلبه ، فنظم قصائد شهيرة في الغزل العفيف عُرفت بالحجازيات .

توفي في بغداد سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٦ .

* * *

قال يرثي والدته فاطمة بنت الناصر:

العمر روحة راكب

أَبْكِيكَ لَوْ نَقَعَ الْغَلِيلَ بُكَائِي وَأَقُولُ لَوْ ذَهَبَ الْمَقَالُ بِدَائِي^(١)
وَأَعُوذُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَعَزِّيَا لَوْ كَانَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَزَائِي
طَوْرًا تَكَاثِرَنِي الدَّمُوعُ، وَتَارَةً آوِي إِلَى أَكْرُومَتِي وَحَيَائِي

(١) نفع الظمأ: أرواه. الغليل: حرارة الحزن.

كَمَ عِبْرَةٍ مَوْهَتْهَا بِأَنَامِلِي،
 أَبْدِي التَّجَلَّدَ لِلْعَدُوِّ، وَلَوْ دَرَى
 مَا كُنْتُ أَذْخَرُ فِي فِدَاكِ غَرِيبَةً،
 لَوْ كَانَ يُدْفَعُ ذَا الْجِمَامِ بِقُوَّةِ
 بِمُدْرَبِينَ عَلَى الْقِرَاعِ تَفِيَّأُوا
 قَوْمٌ إِذَا مَرَّهُوا بِأَغْبَابِ السُّرَى
 يَمْشُونَ فِي خَلْقِ الدَّرُوعِ كَأَنَّهُمْ
 فَارَقْتُ فِيكَ تَمَاسُكِي وَتَجَمَّلِي
 وَصَنَعْتُ مَا ثَلَمَ الْوَقَارَ صَنِيعُهُ
 كَمَ زَفَرَةٍ ضَعُفَتْ فَصَارَتْ أَتَّةً،
 لَهْفَانٌ أَنْزَوْا فِي حَبَائِلِ كُرْبَةٍ
 وَجَرَى الزَّمَانُ عَلَى عَوَائِدِ كَيْدِهِ
 قَدْ كُنْتُ أَمَلُ أَنْ أَكُونَ لَكَ الْفِدَا
 وَتَفَرَّقُ الْبُعْدَاءُ بَعْدَ مَوَدَّةِ
 وَخَلَائِقُ الدُّنْيَا خَلَائِقُ مُوسَى
 طَوْرًا تُبَادِلُكَ الصَّفَاءَ، وَتَارَةً
 وَتَدَاوُلُ الْآيَامُ يُبْلِيْنَا كَمَا
 وَكَأَنَّ طَوْلَ الْعُمَرِ رُوحَةً رَاكِبٍ
 لَوْ كَانَ مِثْلَكَ كُلُّ أُمَّ بَرَّةِ

وَسَتَرْتُهَا مُتَجَمَّلًا بِرِدَائِي
 بِتَمَلُّمِي لَقَدْ اشْتَفَى أَعْدَائِي
 لَوْ كَانَ يَرْجِعُ مَيْتٌ بِفِدَائِي
 لَتَكَدَّسَتْ عُصْبٌ وَرَاءَ لِيَوَائِي
 ظِلُّ الرَّمَاكِ لِكُلِّ يَوْمٍ لِقَاءِ
 كَحَلُّوا الْعُيُونُ بِإِثْمِ الظُّلْمَاءِ^(١)
 صُمُّ الْجَلَامِيدِ فِي غَدِيرِ الْمَاءِ
 وَنَسِيتُ فِيكَ تَعَزُّزِي وَإِبَائِي
 مِمَّا عَرَّانِي مِنْ جَوَى الْبُرْحَاءِ^(٢)
 تَمَمْتُهَا بِتَنْفَسِ الصُّعْدَاءِ
 مَلَكَتُ عَلَيَّ جَلَادَتِي وَغَنَائِي
 فِي قَلْبِ آمَالِي، وَعَكْسِ رَجَائِي
 مِمَّا أَلَمَ، فَكُنْتُ أَنْتَ فِدَائِي
 صَعْبٌ، فَكَيْفَ تَفَرَّقُ الْقُرْبَاءُ
 لِلْمَنْعِ آوِنَةً، وَلِلْإِعْطَاءِ
 تَلْقَاكَ تُنَكِّرُهَا مِنَ الْبَغْضَاءِ
 يُبْلِي الرِّشَاءَ تَطَاوُحُ الْأَرْجَاءِ^(٣)
 قَضَى اللَّغُوبَ وَجَدٌ فِي الْإِسْرَاءِ
 غَنِيَّ الْبُنُونِ بِهَا عَنِ الْآبَاءِ

(١) مرهوا: ابيضت حماليق أعينهم. الأغباب: الغوامض من الأرض. الإثم: الكحل استعاره للظلام

(٢) البرحاء: الشدة والأذى.

(٣) الرشاء: حبل البئر. تطاوح: ترامى. الأرجاء، الواحد رجا: حافة البئر، والناحية.

كيف السَّلَوُ، وكل موقع لحظة
 شهدَ الخلائقُ أنَّها لنَجِيبَةٌ
 في كُلِّ مُظْلِمٍ أَرْمَةٌ أَوْ ضَبِيقَةٌ
 مَعْرُوفُكَ السَّامِي أَنِيسُكَ، كُلَّمَا
 وَضِيَاءٌ مَا قَدَّمْتِهِ مِنْ صَالِحٍ
 إِنَّ الَّذِي أَرْضَاهُ فِعْلُكَ لَا يَزُلُ
 صَلَّى عَلَيْكَ، وَمَا فَقَدْتَ صَلَاتَهُ
 لَوْ كَانَ يُبْلَغُكَ الصَّفِيحُ رَسَائِلِي
 لَسَمِعْتَ طَوْلَ تَأْوِهِي وَتَفَجَّعِي
 كَانَ اِزْتِكَاضِي فِي حَشَاكَ مُسَبِّبًا
 أَثَرُ لِفَضْلِكَ خَالِدٌ بِإِزَائِي
 بِدَلِيلٍ مَا وَلَدَتْ مِنَ النَجَبَاءِ
 يَبْدُو لَهَا أَثَرُ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ
 وَرَدَ الظَّلَامُ بِوَحْشَةِ الْغُبَرَاءِ
 لَكَ فِي الدَّجَى بَدَلٌ مِنَ الْاضْوَاءِ
 تَرْضِيكَ رَحْمَتُهُ صَبَاحَ مَسَاءِ
 قَبْلَ الرَّدَى، وَجَزَاكَ أَيُّ جَزَاءِ
 أَوْ كَانَ يُسْمَعُكَ التَّرَابُ نِدَائِي
 وَعَلِمْتَ حُسْنَ رِعَايَتِي وَوَفَائِي
 رَكُضَ الْغَلِيلِ عَلَيْكَ فِي أَحْشَائِي

* * *

العباس بن الأحنف

هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي نسبة إلى «اليمامة» وهي بلدة في الحجاز، لعله وُلد فيها. وقيل: إنه من عرب خراسان، ومنشأه بغداد.

شاعر اقتصر شعره على الغزل الرقيق. اتصل بالمهدي والرشد اتصال ألفة لا اتصال غاية وتكسب؛ نال بفضل شعره الرقيق جوائز سنّية. أحبّ جارية استعار لها اسم «فوز» خشية من أن يتعرّض إلى ما لا تحمد عقباه. وقد ذكر في ديوانه عدة أسماء منها: ظلوم، وذلفاء، وسحر، وضياء، ونسرين، ونرجس... وهذا ما كان يحمل «فوزًا» على أن تحبس رسولها وكتبها عنه، لتثير حزنه وغضبه.

توفي في بغداد سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٨ م.

لوعة قلب

ألا أسعديني بالدموعِ السّواكِبِ على الوجدِ من صرْمِ الحبيبِ المُغاضِبِ
أراني أَيْتُ اللَّيْلِ صَاحِبَ عَبْرَةٍ مَشُوقًا أَرَايَ مُنْجِدَاتِ الْكَوَاعِبِ
رأت رَغْبَةً مِنِّي فَأَبْدَتْ زَهَادَةً ألا رُبَّ مَحْرُومٍ مِنَ النَّاسِ رَاغِبِ
فَسُحِّي دُمُوعًا هَامِلَاتٍ كَأَنهَا لَهَا أَمْرٌ بِالْقَيْنِصِ مِنْ تَحْتِ حَاجِبِ

أريدُ لأدْعُو غَيْرَهَا فَيَجْرِنِي
يَظَلُّ لِسَانِي يَشْتَكِي الشَّوْقَ وَالْهَوَى
كَأَنَّ بَقْلِي كُلَّمَا هَاجَ شَوْقُهُ
وَلَوْ كَانَ قَلْبِي يَسْتَطِيعُ تَكَلُّمًا
كَتَبْتُ فَأَكْثَرْتُ الْكِتَابَ إِلَيْكُمْ
أَمَّا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي قَتْلِ عَاشِقٍ
فَأَنْفُسُ لَوْ أَبْصَرْتَنِي مُتَضَرِّعًا
وَحَوْلِي مِنَ الْعَوَادِ بِأَكْثَرِ مُشْفِقٍ
لَأَبْكَاكِ مِنِّي مَا تَرَيْنَ تَوَجُّعًا
لَقَدْ قَالَ دَاعِي الْحُبِّ هَلْ مِنْ مُجَابِبٍ
فَمَا إِنْ لَهُ إِلَّا إِلَيَّ مَذَاهِبُ

لِسَانِي إِلَيْهَا بِاسْمِهَا كَالْمُعَالِبِ
وَقَلْبِي كَلَدِي حَبْسٍ لِقَتْلِ مُرَاقِبِ
خَرَازَاتِ أَقْبَاسٍ تَلُوحُ لِزَاهِبِ
لَحَدَثِكُمْ عَنِّي بِكُلِّ الْعَجَائِبِ
عَلَى رَغْبَةٍ حَتَّى لَقَدْ مَلَّ كَاتِبِي
صَرِيعَ نَحِيلِ الْجِسْمِ كَالْخَيْطِ ذَائِبِ
أَقْلَبُ طَرْفِي نَاطِرًا كُلَّ جَانِبِ
أُبَاعِدُ أَهْلِي كُلَّهُمْ وَأَفَارِبِي
كَأَنَّكَ بِي يَا قَوْزُ قَدْ قَامَ نَادِبِي
فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى قَبْلَ كُلِّ مُجَابِبِ
تَكُونُ وَلَا إِلَّا إِلَيْهِ مَذَاهِبِي

* * *

هول الفراق

عَيْتُ الْحَبِيبُ وَكَانَ مِنْهُ صُدُودُ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ مُعْرِضًا مَتَغَضِّبًا
وَيُضِنُّ عَنِّي بِالْكَلَامِ مُصَارِمًا
إِنِّي أَحَاذِرُ صَدَّهَ وَفِرَاقَهُ
يَا مَنْ دَعَانِي ثُمَّ أَدْبَرَ ظَالِمًا
إِنِّي لِأَكْثَرُ ذَكَرْكُمْ فَكَأَنَّمَا

وَنَأَى وَلَمْ أَكْ ذَاكَ مِنْهُ أُرِيدُ^(١)
وَإِذَا قَصَدْتُ إِلَيْهِ فَهُوَ يَحِيدُ
وَبِمُهْجَتِي وَبِمَا يُرِيدُ أَجُودُ^(٢)
إِنَّ الْفِرَاقَ عَلَى الْمُحِبِّ شَدِيدُ
إِرْجِعْ وَأَنْتَ مُوَاصِلُ مَحْمُودُ^(٣)
بِعُرَى لِسَانِي ذِكْرُكُمْ مَعْقُودُ

(١) الصدود: المنع.

(٢) يضمن: ييخل: مصارمًا: مقاطعًا.

(٣) أدبر: ابتعد، ولى.

أبكي لسُخْطِكِ حِينَ أَذْكَرُ مَا مَضَى
 لَا تَقْثُلِينِي بِالْجَفَاءِ تَمَادِيَا
 مَا زَالَ حُبُّكَ فِي فُؤَادِي سَاكِنًا
 فَيَلِينُ طَوْرًا لِلرَّجَاءِ وَتَارَةً
 حَتَّى بَرَى جِسْمِي هَوَاكِ فَمَا تُرَى
 لَا الْحُبُّ يَصْرِفُهُ فُؤَادِي سَاعَةً
 وَكَأَنَّ حُبَّ النَّاسِ عِنْدِي سَاكِنٌ
 أَمْسَى فُؤَادِي عِنْدَكُمْ وَمَحَلُّهُ
 ذَهَبَ الْفُؤَادُ فَمَا أَحْسُ حَسِيْسَهُ
 وَاللَّهُ لَا أَبْغِي سِوَاكِ حَبِيبَةً
 لِلَّهِ دُرُّ الْغَانِيَاتِ جَفَوْنِي
 يَرَعَيْنَ عَهْدِي مَا شَهِدْتُ فَإِنْ أَغْبَ
 يَا لَيْتَ مَا قَدْ فَاتَ لِي مَرَدُودًا
 وَاعْنِي بِأَمْرِي إِنِّي مَجْهُودٌ^(١)
 وَلَهُ، بِزَيْدٍ تَنْفُسِي تَرْدِيدٌ^(٢)
 يَشْتَدُّ بَيْنَ جَوَانِحِي وَيَزِيدُ
 إِلَّا عِظَامَ يُبَسُّ وَجُلُودُ
 عَنْهُ وَلَا هُوَ مَا بَقِيَتْ يَبِيدُ
 وَكَأَنَّهُ بِجَوَانِحِي مَشْدُودُ
 عِنْدِي فَأَيْنَ فُؤَادِي الْمَفْقُودُ؟
 وَأَظْنُّهُ بِوَصَالِكُمْ سَيَعُودُ
 مَا اخْضَرَ فِي الشَّجَرِ الْمُورِقِ عُودُ
 وَأَنَا لَهْنٌ عَلَى الْجَفَاءِ وَدُودُ^(٣)
 يَوْمًا فَمَا لِي عِنْدَهُنَّ عُهْدُ

(١) مجهود: متعب.

(٢) الترديد: الترجيع.

(٣) الغانيات: ج الغانية، وهي الفتاة الحسنة التي استغنت بجمالها عن التزين. جفونني: ابتعدن عني.

أبو فراس الحمداني

هو الفارس والشاعر والأمير الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي. وُلد بالموصل سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م. قُتل والده وهو صغير، فنشأ في كنف ابن عمّه سيف الدولة أمير حلب. اتّصل بالعلماء والأدباء، وأخذ عنهم، وتدرّب على القتال والفروسيّة، فصحبه ابن عمّه في غزواته، وحارب الروم، فأظهر شجاعة ممّا حمل سيف الدولة على أن يأنس به، فولّاه إمارة منبج، وهو دون العشرين من العمر. وكانت هذه الإمارة من أخطر ثغور الدولة الحمدانيّة، فدافع أبو فراس عنها دفاع الأبطال إلّا أنّ الحظّ قد خانته ذات مرّة، فوقع أسيراً لدى الروم، فساقوه إلى خرشنة، ثمّ إلى القسطنطينية، حيث طال أسره دون أن يفتديه ابن عمّه. وهناك نظم أروع أشعاره الوجدانيّة التي عرفت «بالروميات».

وبعد خروجه حصل تنافس بينه وبين ابن سيف الدولة، فقتله أحد أتباعه، وذلك سنة ٣٥٦هـ/٩٦٨م.

* * *

أراك عصي الدمع

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
 بلى، أنا مشتاق وعندي لوعة
 إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى
 تكاذ تضيء النار بين جوانحي
 مغللتني بالوصل والموت ذونه
 حفظت وضيعت المودة بيننا
 وما هذه الأيام إلا صحائف
 بنفسي من الغادين في الحي عادة
 تروغ الى الواشين في، وإن لي
 بدوت وأهلي حاضرون، لأنني
 وحاربت قومي في هواك، وإنهم
 فإن يك ما قال الوشاة ولم يكن
 وقيت وفي بعض الوفاء مدلة
 وقور، وزعان الصبا يستغفرها
 تسألني: من أنت؟ وهي عليمه

أما للهوى نهى عليك ولا أمر^(١)
 ولكن مثلي لا يذاع له سر
 وأذلت دمعاً من خلايقه الكبير^(٢)
 إذا هي أذكتها الصبابة والفكر^(٣)
 إذا بت ظمأنا فلا نزل القطر^(٤)
 وأحسن من بعض الوفاء لك الغدر
 لأخرفها، من كف كاتبها بشر
 هواي لها ذنب، وبهجتها عذر
 لأذنبها عن كل واشية وقر^(٥)
 أرى أن داراً لست من أهلها قفر^(٦)
 وإيائي، لولا حُبك، الماء والخمر
 فقد يهدم الإيمان ما شيد الكفر
 لإنسانة في الحي شيمتها الغدر^(٧)
 فتأزأ أحياناً كما أرن المهر^(٨)
 وهل يفتي مثلي على حاله نكر

(١) شيمتك: طبعك وخلقتك.

(٢) أضواني: عذبني وشجاني. خلايئة: جمع خليقة وهي الطبع والصفة المميزة.

(٣) أذكتها: أشعلتها.

(٤) مغللتني بالوصل: من تبسط لي الآمال في الوصل. القطر: المطر.

(٥) تروغ: تميل وتستمتع. وقر: صمم.

(٦) بدوت وأهلي حاضرون: اختلفت حياتي عن حياة قومي. انصرف عنهم وميلت إليك.

(٧) شيمتها: طبيعتها وخلقتها.

(٨) أرن: نشط ومرح.

فَقُلْتُ لَهَا: لَوْ شِئْتُ لَمْ تَتَعَثِّي
فَقَالَتْ: لَقَدْ أَزْرَى بِكَ الدَّهْرُ بَعْدَنَا
وَمَا كَانَ لِلْأَخْزَانِ لَوْلَاكِ مَسَلَّكَ
وَتَهْلُكَ بَيْنَ الْهَزْلِ وَالْجِدِّ مُهَجَّةٌ
فَأَيَّقَنْتُ أَنْ لَا عِزَّ بَعْدِي لِعَاشِقٍ
وَقَلْبْتُ أَمْرِي لَا أَرَى لِي رَاحَةً
فَعُدْتُ إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَحُكْمِهَا
فَلَا تُتَكْرِنِي يَا ابْنَةَ الْعَمِّ، إِنَّهُ
وَلَا تُتَكْرِنِي، إِنَّنِي غَيْرُ مُنْكَرٍ
وَأَنِّي لَجَزَارٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ
وَأَنِّي لَنَزَالٌ بِكُلِّ مَخَوْفَةٍ
فَأَظْمَأُ حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضُ وَالْقَنَا
وَلَا أَضِيحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بِغَارَةٍ
وَيَا رَبُّ دَارٍ لَمْ تَخْفَنِي مَنِيْعَةٍ
وَحَيٍّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ حَتَّى مَلَكَتُهُ
وَسَاحِبَةَ الْأَذْيَالِ نَحْوِي لَقِيْتُهَا
وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ كُلُّهُ

وَلَمْ تَسْأَلِي عَنِّي، وَعِنْدَكَ بِي خُبْرٌ^(١)
فَقُلْتُ: مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ أَنْتِ لَا الدَّهْرُ^(٢)
إِلَى الْقَلْبِ، لَكِنَّ الْهَوَى لِلْبَلَى جِسْرٌ
إِذَا مَا عَدَاهَا الْبَيْنُ عَذَّبَهَا الْهَجْرُ^(٣)
وَأَنْ يَدِي مِمَّا عَلَقْتُ بِهِ صِفْرٌ^(٤)
إِذَا الْبَيْنُ أَنْسَانِي أَلَحَّ بِي الْهَجْرُ
لَهَا الدُّنْبُ لَا تُجْزَى بِهِ وَلِي الْعَذْرُ
لِيَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَهُ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ
إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ، وَاسْتَنْزَلَ النَّصْرُ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا يُخِلَّ بِهَا النَّصْرُ
كَثِيرٌ إِلَى نَزَالِهَا النَّظَرُ الشَّرُّ^(٥)
وَأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبَعَ الدُّنْبُ وَالنَّسْرُ^(٦)
وَلَا الْجَيْشُ، مَا لَمْ تَأْتِهِ قَبْلِي الثُّدْرُ
طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى أَنَا وَالْفَجْرُ
هَزِيمًا، وَرَدَدْتَنِي الْبَرَاقِيعُ وَالْخُمْرُ^(٧)
فَلَمْ يَلْقَهَا جَافِي اللَّقَاءِ وَلَا وَغْرُ
وَرُحْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَيَّاتِهَا سِنْرُ

(١) التعتت: طلب المشقة.

(٢) أزرى به: عابه ووضع من قيمته ومنزلته.

(٣) البين: الفراق والبعد.

(٤) صفر: خاوية فارغة.

(٥) النظر الشر: النظر بجانب العين مع الإعراض أو الغضب.

(٦) البيض: السيوف. القنا: الرماح. أسغب: أجوع.

(٧) الخمر: جمع «خمار» وهو غطاء الرأس للمرأة.

ولا راحَ يَطْغِينِي بِأَثْوَابِهِ الْغِنَى
وما حاجَتِي بِالْمَالِ أَبْغِي وَفُورُهُ
أَسِيرْتُ وما صَحْبِي بِعُزْلِ لَدَى الْوَعَى
وَلَكِنْ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى امْرِئٍ
وَقَالَ أَصْنَحَابِي: الْفَرَارُ أَوْ الرَّدَى؟
وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعِيبُنِي
يَقُولُونَ لِي: بَغْتَ السَّلَامَةَ بِالرَّدَى
وَهَلْ يَتَجَأَفَى عَنِّي الْمَوْتُ سَاعَةً
هُوَ الْمَوْتُ فَاخْتَرْ مَا عَلَا لَكَ ذِكْرُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي دَفْعِ الرَّدَى بِمَذَلَّةٍ
يَمْتُونُ أَنْ خَلُّوا ثِيَابِي، وَإِنَّمَا
وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمْ ذُقْ نَصْلُهُ
سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ
فَإِنْ عِشْتُ، فَالطُّغْنُ الَّذِي يَغْرِفُونَهُ
وَأِنْ مِتُّ فَالْإِنْسَانُ لَا بُدَّ مَيِّتٍ

ولا باتَ يَثْنِينِي عَنِ الْكَرَمِ الْفَقْرُ^(١)
إِذَا لَمْ أَصُنْ عِزِّي فَلَا وَفَرَ الْوَفْرُ
وَلَا قَرَسِي مُهَرَّ وَلَا رَبُّهُ غِمْرُ^(٢)
فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَخْرُ^(٣)
فَقُلْتُ: هُمَا أَمْرَانِ أَخْلَاهُمَا مُرٌّ
وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ خَيْرُهُمَا الْأَسْرُ
فَقُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ، مَا نَالَنِي حُسْرُ
إِذَا مَا تَجَأَفَى عَنِّي الْأَسْرُ وَالضَّرُّ؟
فَلَمْ يَمُتِ الْإِنْسَانُ مَا حَيَّيَ الذَّكْرُ
كَمَا رَدَّهَا يَوْمًا بِسُوءَتِهِ عَمْرُو^(٤)
عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمْ حُمْرُ
وَأَعْقَابُ رِمَحٍ فِيهِ قَدْ حُطِّمَ الصَّدْرُ
وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ
وَتِلْكَ الْقَنَا وَالْبَيْضُ وَالضَّمَرُ الشُّقْرُ^(٥)
وَأِنْ طَالَتْ الْأَيَّامُ وَانْفَسَحَ الْعُمُرُ^(٦)

(١) يثني: يمدحني.

(٢) العزل: جمع أعزل، الذي لا سلاح معه. الغمر: الجاهل، غير المجرب.

(٣) إذا همَّ القضاء على امرئ: إذا حانت ساعته، أي موته.

(٤) السوءة: الفعل القبيحة التي تجلب المذلة والعار. يشير إلى عمل عمرو بن العاص عندما

دفعه دهاؤه إلى كشف سوءته وقت مبارزته للإمام علي بن أبي طالب، فاضطر الإمام إلى

إشاحة وجهه، لأنه - كرم الله وجهه - لم ينظر إلى سوءة في حياته.

(٥) القنا: الرماح. البيض: السيوف. الضمر الشقر: الجياد الضامرة الشقراء اللون، كناية عن

سرعتها الفائقة وكرم عنصرها.

(٦) انفسح العمر: امتد الأجل.

وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ إِكْتَفُوا بِهِ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا تَوْسَطَ بَيْنَنَا
تَهَوُّنُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفْسُنَا
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي الْعَلَا
وَمَا كَانَ يَغْلُو التُّبْرُ لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ^(١)
لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ^(٢)
وَمَنْ يَخْطُبُ الْحَسَنَاءَ لَمْ يُغْلِبْهَا الْمَهْرُ
وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ التَّرَابِ وَلَا فَخْرُ^(٣)

* * *

يا حسرة

يَا حَسْرَةَ مَا أَكَاذُ أَحْمِلُهَا
عَلِيلَةً بِالشَّامِ مُفْرَدَةً
تُمْسِكُ أَحْشَاءَهَا عَلَى حُرْقٍ
إِذَا اطْمَأَنَّتْ، وَأَيْنَ، أَوْ هَدَأَتْ
يَا أَيُّهَا الرَّاكِبَانِ هَلْ لَكُمَا
قُولَا لَهَا إِنْ وَعَتْ مَقَالِكُمَا
يَا أَمْتَا هَذِهِ مَنَازِلُنَا
آخِرُهَا مُزْعَجٌ وَأَوَّلُهَا
بَاتَ بِأَيْدِي الْعَدَى مَعْلُهَا^(٤)
تُطْفِئُهَا وَالْهَمُومُ تُشْعِلُهَا^(٥)
عَنَّتْ لَهَا ذِكْرَةٌ تُثْقِلُهَا^(٦)
فِي حَمْلِ نَجْوَى يَخِيفُ مَحْمَلُهَا^(٧)
وَإِنْ ذَكَرِي لَهَا لِيُذْهِلُهَا^(٨)
نَتْرُكُهَا تَارَةً وَنَنْزِلُهَا^(٩)

(١) التبر: الذهب. الصفرة: النحاس.

(٢) الصدر: الصدارة والرئاسة والسيادة.

(٣) من فوق التراب: الناس جميعاً.

(٤) عليلة: أي مريضة والمقصود أمه. المعلل: المعزى، والمقصود هو نفسه.

(٥) الحرق: ج الحرقه، وهي ألم النفس.

(٦) عنئت: ظهرت. الذكرة: الذكرى. تثقلها: تحزنها.

(٧) الرَّاكِبَانِ: المسافرين. ومن عادة الشعراء مخاطبة الاثنين. النجوى: هنا الرسالة الشفوية.

(٨) وعت مقالكما: أي فهمت كلامكما. يذهلها: يفقدها الوعي.

(٩) في هذا البيت إشارة إلى أن الحياة لا تستقر على حال، وأنهم فيها بين إقامة ورحيل.

يا أمتا هذه مواردنا
أسلمنا قومنا إلى نوب
واستبدلوا بغيرنا رجال وعى
يا سيدا لا تعد مكرمة
ليست تنال القيود من قدمي
أنت سماء ونحن أنجمها
أنت سحاب ونحن وابل
بأي عذر رددت والهة
جاءتك تمتاح رد واحد
سمحت مني بمهجة كرمت
إن كنت لم تبدل الفداء لها
تلك المودات كيف تهملها
أين المعاني التي عرفت بها
يا واسع الدار كيف توسعها
يا ناعم الثوب كيف تبدله

نعلها تارة ونهلهها^(١)
أيسرها في القلوب أقتلها^(٢)
يود أذنى علاي أمثلها^(٣)
إلا وفي راحتيه أكملها^(٤)
وفي اتباعي رضاك أحملها^(٥)
أنت بلاد ونحن أجبلها
أنت يمين ونحن أنملها^(٦)
عليك دون الورى معولها^(٧)
ينتظر الناس كيف ثقفلها^(٨)
أنت على ياسها مؤملها^(٩)
فلم أزل في رضاك أبذلها
تلك المواعيد كيف تغفلها
تقولها دائما وتفعّلها
ونحن في صخرة نزلزلها
ثيابنا الصوف ما نبذلها

- (١) نعلها: نشرها بشكل متقطع. نهلهها: نشرها بشكل متواصل.
(٢) النوب: المصائب. أيسرها: أخفها.
(٣) الوعى: الحرب. أمثلها: أفضّلها.
(٤) الراحتان: مثنى الراحة، وهي باطن الكف. أكملها: أتمها.
(٥) تنال من قدمه: أي تصيبها بأذى.
(٦) الوابل: المطر. الأنمل: الأصابع.
(٧) الوالهة: الشديدة الحزن، والمقصود أمه. الورى: الناس. دون الورى: أي بين الناس.
عليك معولها: عليك اعتمادها.
(٨) تمتاح: تسأل. ثقفلها: ترجعها.
(٩) المهجة: النفس.

يا راكب الخيل لو بَصُرْتَ بنا نحملُ أقيادنا وننقلُها^(١)
رأيتَ في الضُرِّ أوجها كَرُمْتَ فارق فيك الجمالُ أجملُها^(٢)
قد أَثَّرَ الدهرُ في محاسنها تَعْرِفُها تارةً وتَجْهَلُها

* * *

مصابي جليل

مُصَابِي جَلِيلٌ وَالْعِزَاءُ جَمِيلٌ وَظَنِّي بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ^(٣)
جِرَاحٌ وَأَسْرٌ وَاشْتِيَاقٌ وَغَرِيبَةٌ أَحْمَلُ إِنِّي بَعْدَهَا لَحَمُولُ
وَلَئِنِّي فِي هَذَا الصَّبَاحِ لَصَالِحٌ وَلَكِنِّي خَطْبِي فِي الظَّلَامِ جَلِيلُ^(٤)
وَمَا نَالَ مَنِّي الْأَسْرُ مَا تَرِيَانِيهِ وَلَكِنِّي دَامِي الْجِرَاحِ عَلِيلُ
جِرَاحٌ تَحَامَاهَا الْأَسَاءَةُ مَخُوفَةٌ وَسُقْمَانٌ: بَادٍ مِنْهُمَا وَدَخِيلُ^(٥)
وَأَسْرٌ أَقَاسِيهِ وَلَيْلٌ نَجْوَمُهُ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ غَيْرَهُنَّ يَزُولُ
تَطُولُ بَيْنَ السَّاعَاتِ وَهِيَ قَصِيرَةٌ وَفِي كُلِّ دَهْرٍ لَا يَسْرُكُ طَوْلُ
تَنَاسَانِي الْأَصْحَابُ إِلَّا عُصْبِيَّةٌ سَتَلْحَقُ بِالْأُخْرَى غَدًا وَتَزُولُ^(٦)
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْعَهْدِ مِنْهُمْ وَإِنْ كَثُرَتْ دَعَوَاهُمْ لِقَلِيلُ
أَقْلَبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ يَمِيلُ مَعَ النِّعْمَاءِ حَيْثُ تَمِيلُ^(٧)
وَصِرْنَا نَرَى أَنَّ الْمُتَارِكَ مُخْسِنٌ وَأَنْ خَلِيلًا لَا يَضُرُّ خَلِيلُ

(١) الأقياد: ج القيد.

(٢) الضر: العذاب.

(٣) يدبل: يبذل.

(٤) الخطب: المصيبة الكبرى.

(٥) الأساءة: ج الآسي، وهو الطبيب.

(٦) عصبية: جماعة قليلة.

(٧) النعماء: أي الخير والمنفعة.

وليس زماني غادرَ بي وحدَهُ
تصقّحت أقوالَ الرجالِ فلم يكن
أكلُ خليلٍ أنكدَ غير مُنصِفٍ؟
نعم دعتِ الدنيا إلى الغدرِ دعوةً
وقبليّ كان الغدرُ في الناس شيمةً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه
فيا حسرتا من لي بخلٍ موافقٍ
وإن وراء الستر أماً بكأوها
فيا أمتا لا تعدمي الصبرَ إنّه
ويا أمتا لا تُخطِئي الأجرَ إنّه
ويا أمتا صبراً فكلُّ مُلَمّةٍ
تأسّي كفاك الله ما تحذيرُهُ
وكوني كما كانت بأخذِ صفةٍ
ولو ردّ يوماً حمزة الخَيْرِ حُزْنُها
وما أثري يوم اللقاءِ مدمّمٍ
لقيتُ نجومَ الليلِ وهي صوارمُ
ولم أزعَ للنفسِ الكريمة خِلّةً
ولكن لقيتُ الموتَ حتى تركتها

ولا صاحبي دون الرجالِ ملولُ
إلى غير شاكٍ في الزمان وُصولُ
وكلُّ زمانٍ بالكرامِ بخيلُ
أجاب إليها: عالمٌ وجهولُ
وذمُّ زمانٍ واستلام خليل^(١)
وخلّى أمير المؤمنين عقيل^(٢)
أقول بشجوي مرّةً ويقولُ
عليّ وإن طال الزمان طویلُ
إلى الخير والتّججِ القريبِ رسولُ
على قَدَرِ الصبرِ الجميلِ جزیلُ
تجلّى على علّاتها وتزول^(٣)
فقد غالَ هذا الدهرَ قبلك غولُ
ولم يُشفَ منها بالبكاء غلیلُ^(٤)
إذا ما علّتها رنةً وعویلُ
ولا موقفي عند الإِسار ذلیلُ
وحُضْتُ سواد الليلِ وهو يهولُ
عشيّةً لم يَغْطِفَ عليّ خليلُ
وفيها وفي حدّ الحسامِ فلول^(٥)

(١) استلام: استحقّ اللوم. الخليل: الصديق الخالص.

(٢) كان عمرو بن الزبير مع بني أمية ضدّ أخيه عبدالله، وكان عقيل بن أبي طالب، أخو الإمام عليّ، ضدّ أخيه في الخلافة..

(٣) الملمّة: المصيبة.

(٤) صفة: عمّة النبي (ﷺ)، وأخت حمزة.

(٥) الحسام: السيف. الفلول: الكسور في حدّ السيف.

ومن لا يوق الله فهو مَمَزَّق
إذا لم يُعِنِكَ الله فيما تُريدُه
وإن هو لم يُنصُرَكَ لم تَلَقْ ناصراً
إذا ما وَفَاكَ اللهُ أمراً تخافُه
وإن هو لم يَذِلُّكَ في كلِّ مسلِكٍ
وإن رجائيهِ وظنِّي بفضليهِ
وما دام سيفُ الدولةِ القرُمُ باقياً
وما دام سيفُ الدولةِ القرُمُ باقياً
فلَمَّا حياةٌ في فِناه عزيزةٌ
وَمَنْ لَمْ يُعِزُّ اللهُ فهو ذليلٌ
فليسَ لِمُخلوقٍ إليه سبيلُ
وإن جَلَّ أنصارُ وعِزُّ قبيلُ
فما لك ممّا تَتَّقِيهِ مُقِيلُ
ضَلَلْتَ ولو أَنَّ السَّمَاءَ دليلُ^(١)
على قبح ما قَدَّمْتُهُ لجميلُ
فظلُّكَ فَيَاحُ الجَنابِ ظليلُ^(٢)
يجود بتخليصي لكم ويُنيِلُ
وإِما مَمَاتٌ في ذِراهُ جميلُ

* * *

الشاعر والحمامة

أقولُ وَقَدْ ناحتُ بقربي حمامةٌ
معاذُ الهوى ما دُقَّتِ طارقةُ النوى
أَتَحْمِلُ محزونَ الفؤادِ قوادِمُ
أجارتنا ما أنصفَ الدهرُ بيننا
تعالني تَرَيَ روحاً لديّ ضعيفةٌ
أَيَضْحَكُ مأسورٌ وتبكي طليقةٌ
لقد كُنْتُ أُولَى منكِ بالدَّمْعِ مُقَلَّةٌ
أيا جارتا هَلْ تشعرين بحالي؟
ولا خَطَرْتُ منكِ الهمومُ بيالي
على عُصْنِ نائي المسافةِ عالٍ؟^(٣)
تعالني أقاسمكِ الهمومَ تعالي
تردُّدُ في جسمٍ يُعَدِّبُ بالِ
وَيَسْكُتُ محزونٌ وَيَدْبُ سَالٍ؟
ولكنَّ دَمْعِي في الحوادثِ غالٍ

* * *

(١) السماء: كل ما رُفِعَ.

(٢) القرُم: السيد العظيم.

(٣) القوادِم: كبار الريش من جناح الطائر.

المتنبّي

هو أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي الملقّب بالمتنبّي، ولد في كندة من أعمال الكوفة سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م في بيت فقير من أب يعمل سقاءً في الكوفة، ويعرف بـ«عبدان السقاء».

نشأ محباً للعلم، فصحبه أبوه إلى الشام حيث درس على الأخفش، وابن دريد، والزجاج.

قضى حياته متنقلاً من أمير إلى آخر، وخاصة بعد أن ذاق مرارة الحرمان والحاجة، يمدح هذا ويهجو ذاك إلى أن اتّصل بسيف الدولة أمير حلب، فقصى عنده حوالى تسع سنوات، وكان في أثنائها شاعره المفضّل، ولكن حسد الحساد اضطرّه إلى مغادرته والاتصال بكافور الإخشيدي الذي قضى عنده أربع سنوات تقريباً، وغادره هارباً من السجن، تاركاً وراءه قصيدة هجاء مقذعة.

كان المتنبّي سيّئ الحظّ كثير الحساد، شديد التذمّر، فاجأه فاتك الأسدي قرب الرصافة، فقتله مع ابنه وغلّامه لأنّه كان قد هجا أخته. وكان ذلك سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م.

* * *

وصف الحمى

قال يذكر حمى كانت تغشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر،
وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة:

مَلُومُكُمْأَ يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقَّعُ فَعَالِيهِ فَرْقُ الْكَلَامِ^(١)
ذُرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلِ وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِقَامِ^(٢)
فَإِنِّي أَسْتَرِيحُ بِذِي وَهَذَا وَأَتَعَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمُقَامِ^(٣)
عُيُونُ رَوَاجِلِي إِنْ حَزْتُ عَيْنِي وَكُلُّ بُغَامٍ رَازِحَةٍ بُغَامِي^(٤)
فَقَدْ أَرِدُ الْمِيَاءَ بِغَيْرِ هَادٍ سِوَى عَدِّي لَهَا بَرْقُ الْعَمَامِ^(٥)
يُذِمُّ لِمُهْجَتِي رَبِّي وَسَنِيفِي إِذَا اخْتَجَّ الْوَحِيدُ إِلَى الذَّمَامِ^(٦)
وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبُخْلِ ضَيْفًا وَلَيْسَ قِرَى سِوَى مَخِّ النَّعَامِ^(٧)
فَلَمَّا صَارَ وَدَّ النَّاسَ حَبًّا جَزَيْتُ عَلَى ابْتِسَامِ ابْتِسَامِ^(٨)
وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَغْضُ الْأَنَامِ^(٩)

(١) ملومكمأ: يعني نفسه. والشاعر يخاطب صاحبيه. يجل: يرتفع. الفعال: الأفعال.

(٢) ذُرَانِي: اتركاني. الفلاة: الصحراء. الهجير: حرّ منتصف النهار.

(٣) الإناخة: النزول. المقام: الإقامة.

(٤) الرواحل: جمع الراحلة، وهي الناقة. بغام الناقة: صوت لا تفصح به.

(٥) يقول: لا أحتاج في ورود الماء إلى دليل يدلني سوى أن أعدّ بروق الغمام، وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدّوا سبعين برقة: وقيل: مئة، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ماطر، فرحلوا يطلبون موضع الغيث.

(٦) يُذِمُّ: يُعْطِي الدِّمَّةَ. يقول: لا أستصحب أحدًا في سفري لأمن بصحبته.

(٧) القُرَى: طعام الضيوف. يقول: لا أُمْسِي ضَيْفًا لِلْبُخْلِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي طَعَامُ الْبَيْتَةِ، لِأَنَّهُ لَا مَخَّ لِلنَّعَامِ.

(٨) الخب: الخداع.

(٩) أصطفيه: أصاحبه. الأنام: الناس.

يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي
وَأَنْفُ مِنْ أَحْيِي لِأَبِي وَأُمِّي
أَرَى الْأَجْدَادَ تَغْلِبُهَا كَثِيرًا
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدْ وَحْدٌ
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي
وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا
أَقَمْتُ بِأَرْضٍ مُضَرَّ فَلَا وَرَائِي
وَمَلَنِي الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنْبِي
قَلِيلٌ عَائِدِي سَقَمٌ فُؤَادِي
عَلِيلٌ الْجِسْمُ مُتَتِنِعُ الْقِيَامِ

وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ^(١)
إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ
عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّئَامِ^(٢)
بَأَنْ أُعْزَى إِلَى جَدِّ هُمَامِ^(٣)
وَيَنْبُو نَبْوَةُ الْقَضِيمِ الْكَهَامِ^(٤)
فَلَا يَذُرُ الْمَطِيَّ بِلَا سَنَامِ^(٥)
كَتَفَصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
تَخُبُّ بِي الْمَطِيَّ وَلَا أَمَامِي^(٦)
يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامِ
كَثِيرٌ حَاسِدِي صَغْبٌ مَرَامِي^(٧)
شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمُدَامِ^(٨)

(١) الوسام: حسن الصورة. يقول: إنَّ العاقل يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما، فمن أضفى له الود أحبه، أما الجاهل فيحب على جمال الصورة.

(٢) يقول: إذا لومت الأخلاق، غلب اللؤم الأصل الطيب الكريم، فيصبح صاحبها كريماً، وإن كان من أصل كريم.

(٣) أعزى: أنسب. الهمام: الشجاع السخي. يقول: أنا فاضل بنفسي ولا أقنع بأن أنسب إلى جدِّ فاضل.

(٤) القد: القامة. الحد: حد السيف. والمقصود بـ«من له قد وحد» الشاب الذي لم يهدمه الهرم. ينبو: لم يصب. القضم: السيف الذي فيه فلول. الكهام: الذي لا يقطع. يقول: عجبْتُ لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه، ولا يكون نافذاً في الأمور.

(٥) يذر: يترك. المطي: الإبل. السنام: ما ارتفع من ظهر البعير. يقول: عجبْتُ ممن وجد الطريق إلى المعالي كيف لا يتعب مطاياهم في هذه الطريق حتى تذهب أسنمتها.

(٦) تخب: تعدو.

(٧) عائدي: زوّاري في مرض. سقيم: مريض.

(٨) المدام: الخمرة.

وَزَايَرَتِي كَأَنَّ بِهَا حَيَاءً
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا
يَضِيقُ الْجِلْدُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَلْتَنِي
كَأَنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي
أَرَاقِبُ وَقْتُهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ
وَيَصْدُقُ وَغْدُهَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ
أَبْنَتُ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ
جَرَحَتْ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ
يَقُولُ لِي الطَّيِّبُ: أَكَلْتُ شَيْئًا
وَمَا فِي طَبِّهِ أَنِّي جَوَادٌ
تَعَوَّدَ أَنْ يُعْبَرَ فِي السَّرَايَا
فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ^(١)
فَعَاثَتْهَا وَبَاتَتْ فِي عِظَامِي^(٢)
فَتُوسِعُهُ بِأَنْوَاعِ السُّقَامِ^(٣)
كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ^(٤)
مَدَامُعَهَا بِأَرْبَعَةِ سِجَامٍ^(٥)
مُرَاقِبَةُ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ^(٦)
إِذَا أَلْقَاكَ فِي الْكَرْبِ الْعِظَامِ^(٧)
فَكَيْفَ وَصَلَتْ أُنْتُ مِنَ الزُّحَامِ^(٨)
مَكَانٌ لِلْسُّيُوفِ وَلَا السُّهَامِ
وَدَاؤُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
أَضُرَّ بِجَسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ^(٩)
وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامٍ^(١٠)

(١) زائري: يقصد الحمى.

(٢) المطارف: جمع مطرف، وهو نوع من اللباس. الحشايا: جمع حشية، وهي ما حشي من الفراش ليُجلس عليه.

(٣) السقام: الأوجاع ونحوها.

(٤) يقول: إنه يعرف عند فراقها، فكأنها تغسله لعكرفها على ما يُوجب الغسل.

(٥) أربعة سجام: أربعة مجارٍ للدموع غزيرة.

(٦) يقول: إنه يراقب زيارتها خوفًا لا شوقًا.

(٧) الكرب: المصائب.

(٨) بنت الدهر: المصيبة، ويقصد الحمى هنا.

(٩) الجمام: الراحة.

(١٠) يُعْبَرُ: يُثِير الغبار. السرايا: جمع السرية، وهي القطعة من الجيش. القتام: الغبار. وأراد بدخول القتام دخول الحرب.

فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَزَعَى وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ
فَإِنْ أَمْرَضَ قَمًا مَرِيضَ اضْطَيَّارِي وَإِنْ أَحْمَمَ قَمًا حُمَّ اعْتِزَامِي^(١)
وَإِنْ أَسْلَمَ قَمًا أَبْقَى وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ^(٢)

* * *

رثاء جدته

أَلَا لَا أَرِي الْأَخْدَاتِ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا^(٣)
إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى يَعُودُ كَمَا أَبْدِي وَيُكْرِي كَمَا أَرْمَى^(٤)
لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبَتِهَا قَتِيلَةً شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَضَمًّا^(٥)
أَجِنُّ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا الثَّرَابَ وَمَا ضَمًّا^(٦)
بَكَيْتُ عَلَيْهَا خَيْفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانًا تُكَلِّ صَاحِبِهِ قَدَمًا^(٧)
وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ مَضَى بَلَدٌ بَاقٍ أَجَدْتُ لَهُ صَرَمًا^(٨)
عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا فَلَمَّا دَهَنْتَنِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا^(٩)
مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعٍ غَيْرَهَا تَعَدَّى وَتَزَوَّى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمًا^(١٠)

(١) أحمم: أصاب بالحمى.

(٢) الحمام: الموت.

(٣) البطش: الأخذ بغلبة وقوة. الأحداث: مصائب الدهر.

(٤) أكرى الشيء: نقض. أرمى: أربى وزاد.

(٥) الوصم: العار.

(٦) الكأس: يعني به الموت. مثواها: مقامها أي القبر.

(٧) الثكل: الفقد. قدما: قديما.

(٨) أجد: جدد. الصرم: القطيعة.

(٩) عرفت الليالي أي كنت عالما بها وتفريقها بين الأحبة.

(١٠) يعني أن منافع الليالي في مضرة غيرها من الناس.

أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
تَعَجَّبُ مِنْ خَطِيٍّ وَلَفْظِي كَأَنَّهَا
وَتَلَثَّمُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ
رَقًا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا الْمَنَايَا وَإِنَّمَا
طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَقَاتَتْ وَقَاتَنِي
فَأَضْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْعَمَامَ لِقَبْرِهَا
وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَغْظِمُ النَّوَى
هَبْنِي أَخَذْتُ الثَّارَ فَيْكَ مِنَ الْعِدَا
وَمَا أُنْسَدْتُ الدُّنْيَا عَلَيَّ لِضَيْقِهَا
فَوَا أَسَفًا أَنْ لَا أَكْبُ مُقْبَلًا
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتْ بِهَا عَمَّا^(١)
أَعْدُ الَّذِي مَاتَتْ بِهِ بَعْدَهَا سَمًا^(٢)
تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمًا^(٣)
مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأَنَابَهَا سُحْمًا^(٤)
وَفَارَقَ حُبِّي قَلْبَهَا بَعْدَمَا أَذْمَى^(٥)
أَشَدُّ مِنَ السَّقَمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّقْمًا^(٦)
وَقَدْ رَضِيتُ بِي لَوْ رَضِيتُ بِهَا قِسْمًا
وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعَى وَالْقَنَا الصُّمًّا^(٧)
فَقَدْ صَارَتْ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْعُظْمَى^(٨)
فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فَيْكَ مِنَ الْحُمَى^(٩)
وَلَكِنْ طَرْفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى^(١٠)
لِرَأْسِكَ وَالصُّدْرِ الَّذِي مِلْنَا حَزْمًا^(١١)

(١) الترحة: الحزن يعني أن الحزن اشتد عليه فكانه مات بها غمًا.

(٢) يقول أن السرور حرام عليه فإنه بعد موت جدته يعده سمًا فيتجنبه ويحرمه على نفسه.

(٣) الأغربة: جمع غراب. والعصم: جمع أعصم وهو الذي في جناحه بياض والغراب الأعظم نادر الوجود.

(٤) المحاجر: ما حول العينين. سحما: سودا.

(٥) رقا الدمع والدم: انقطع.

(٦) المنايا: الموت. السقم: المرض الشديد.

(٧) استسقى: طلب السقيا (الماء). الغمام: السحاب. الوعى: الحرب. القنا: الرماح. الصم: الصلاب.

(٨) النوى: البعد.

(٩) يتساءل المتنبى كيف باستطاعته أن يأخذ ثأرها من العلة التي قتلها.

(١٠) لقد أصبح كالأعمى لفقدائها فانسدلت عليه المسالك وضاعت الدنيا.

(١١) أكب: انكب أي إنحنى على وجهه. اللذين: اللذين.

وَأَنْ لَا أَلَاقِي رُوحَكَ الطَّيِّبَ الَّذِي
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدٍ
لَشُنْ لَدَّ يَوْمَ الشَّامِتِينَ بِيَوْمِهَا
تَغَرَّبَ لَا مُسْتَغْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فَوَادَ عَجَاجَةٍ
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
كَأَنَّ بَنِيهِمْ عَالِمُونَ بِأَنْبِي
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي
وَلَيْكُنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ تَحِيَّتِي
إِذَا قُلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بَعْدِهِ
وَلِيَّ لِمَنْ قَوْمٌ كَأَنَّ نُفُوسَنَا

كَأَنَّ ذَكِيَّ الْمِسْكِ كَانَ لَهُ جِسْمًا^(١)
لَكَانَ أَبَاكَ الضُّخْمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا^(٢)
فَقَدْ وَلَدْتُ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغْمًا^(٣)
وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِخَالِقِهِ حُكْمًا^(٤)
وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةِ طَعْمًا^(٥)
وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلًّا أَنْ يُسَمَّى^(٦)
جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتِمًا^(٧)
بِأَصْعَبِ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمًا^(٨)
وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْعِشْمًا^(٩)
وَلَا فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطْلَ الْقَرْمًا^(١٠)
فَأَبْعَدُ شَيْءٍ مُمَكِّنٍ لَمْ يَجِدْ عَزْمًا^(١١)
بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمًا^(١٢)

(١) المسك: نبات ذكي وشديد الرائحة.

(٢) الضخم: العظيم والجلدة تسمى أُمًّا.

(٣) لَدَّ: طاب. الشامت: الفرح بمصيبة عدوه. بيومها: يوم موتها. رَغْمًا: الرغام. التراب:

أي الدل والقهر.

(٤) تَغَرَّبَ: أي خرج عن بلاده إلى الغربة.

(٥) العجاجة: الغبار.

(٦) ما أَنْتَ: ما أنت صانع.

(٧) الْيَتِمًا: اليتيم.

(٨) الْجَدُّ: الحظ والبخت.

(٩) بِذُبَابَةٍ: ذباب السيف أي حذره. الْعِشْمُ: الظلم.

(١٠) الْقَرْمُ في الأصل: البعير الذي لا يحمل عليه وإنما يعد للفعلة. وهو هنا السيد.

(١١) فَل السيف: ثلثة استعاده للزم على تشبيهه بالسيف. المدى: الغاية.

(١٢) الْأَنْفُ: الاستكفاف من الشيء.

كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي وَيَا نَفْسُ زِيْدِي فِي كَرَاهِيْهَا قُدَمَا^(١)
فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الظُّلْمَا

* * *

(١) الكراهة : جمع كراهة .

ابن الرومي

هو أبو الحسن عليّ بن العباس بن جُريج (٢٢١هـ / ٨٣٥م - ٢٨٣هـ / ٨٩٦م). ولد في بغداد من أب روميّ، وأمّ فارسيّة. أكبّ على تحصيل العلم حتّى استقامت له ثقافة واسعة من لغة وأدب وفلسفة ودين. توالّت المِحن عليه، فمات والده وهو حَدَث، ومات أخوه في شبابه، ومات أبنائُه الثلاثة، وماتت زوجته، والتهمت النيران بعض أملاكه، واغتصب الظلم البعض الآخر.

له ديوان ضخم من الشعر عالج فيه جميع الموضوعات الشائعة عند العرب. وفي الرثاء يندفق ابن الروميّ اندفاعًا لأنّه يرثي من يحبّ، ويرثي في حالة من الانفعال شديدة، وفي حالة من الحزن المتجمّع المتراكم شديدة أيضًا. وكان يخاطب الميت في لهفة المحبّة ولوعة الفراق، ويسكب نفسه عليه حسرة، ويُفصّل ما يعانيه من شقاء بعد فراقه، فيذكر آلامه، ووحشته، وسهره في ظلمات الليالي، ودموعه المتساقطة في غزارة وحرارة، ويذكر كيف مات الفقيد، وكيف زالت بالموت صفاته، فيتحسّر عليها تحسّرًا يكسر القلب، وقد يخاطب تلك الصفات، ويدرف عليها العبرات، والذي يقرأ شعره يحزن للشاعر وسوء حاله أكثر ممّا يحزن للفقيد.

* * *

رثاء ولده الأوسط

بَكَوْكُمْأَ يَشْفِي، وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِي،
 أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْمَنَايَا وَرَمِيَهَا،
 تَوَخَّى حِمَامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صَبِيَّتِي،
 عَلَى حِينِ شِمْتُ الْخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ،
 طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي، فَأَضْحَى مَزَارُهُ
 لَقَدْ أَنْجَزَتْ فِيهِ الْمَنَايَا وَعِيدَهَا،
 لَقَدْ قُلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لَبْنُهُ،
 أَلَحَّ عَلَيْهِ الْتَرْفُ، حَتَّى أَحَالَهُ
 وَظَلَّ عَلَى الْأَيْدِي تَسَاقُطُ نَفْسُهُ،
 قِيَا لَكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقُطُ أَنْفُسَا
 عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ
 وَمَا سَرَّنِي أَنْ يَغْتُهُ بِثَوَابِهِ
 وَلَا يَغْتُهُ طَوْعًا وَلَكِنْ غُصِبَتْهُ
 وَإِنِّي وَإِنْ مُتَّعْتُ بِأَبْنَيْ بَعْدَهُ
 وَأَوْلَادُنَا مِثْلُ الْجَوَارِحِ أَيُّهَا
 فَجُودًا، فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمْأَ عِنْدِي^(١)
 مِنْ الْقَوْمِ، حَبَاتِ الْقُلُوبِ، عَلَى عَمْدٍ
 فَلِلَّهِ، كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعَقْدِ^(٢)
 وَأَنْسْتُ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرَّشْدِ^(٣)
 بَعِيدًا عَلَى قُرْبٍ، قَرِيبًا عَلَى بُعْدٍ
 وَأَخْلَفْتَ الْأَمَالَ مَا كَانَ مِنْ وَعْدٍ
 فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ الْمَهْدِ، إِذْ ضَمَّ فِي اللَّحْدِ
 إِلَى صُفْرَةِ الْجَادِي عَنِ حُمْرَةِ الْوَرْدِ^(٤)
 وَيَذْوِي كَمَا يَذْوِي الْقَضِيبُ مِنَ الرَّنْدِ^(٥)
 تَسَاقُطُ دُرٌّ مِنْ نِظَامٍ بِلَا عَقْدٍ
 وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ^(٦)
 وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
 وَلَيْسَ عَلَى ظَلَمِ الْحَوَادِثِ مِنْ مُعْدٍ^(٧)
 لَذَاكِرُهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي نَجْدٍ^(٨)
 فَقَدْ نَاهُ كَانَ الْقَاجَعِ الْبَيْنَ الْفَقْدِ

(١) بكاءؤكما: خطاب لعينيه.

(٢) واسطة العقد: الجوهرة التي في وسطه.

(٣) شمت: رأيت. أنست: نظرت. الآية: العلامة.

(٤) الجادي: الزعفران.

(٥) يذوي: يذبل. الرند: شجر طيب الرائحة.

(٦) ينفطر: ينشق. الصلد: الصلب.

(٧) المعدي: المعين.

(٨) النيب: ج ناب وهي الناقة المسنة.

لِكُلِّ مَكَانٍ لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُ
 هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ
 لَعَمْرِي لَقَدْ خَالَتُ بَيْنَ الْحَالِ بَعْدَهُ
 ثَكَلْتُ سُورِي كُلَّهُ إِذْ ثَكَلْتُهُ
 أَرْيَحَانَةُ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا
 سَأَسْقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ
 أَعْيَنِي جُودًا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى
 كَأَنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَّةٍ
 أَلَامَ لِمَا أَبْدَيْ عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى
 مُحَمَّدٌ، مَا شَيْءٌ تُؤْهِمُ سَلْوَةً
 أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا
 إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَدَعَا
 فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ بَلْ حَرَارَةٌ
 وَأَنْتَ وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارٍ وَخَشَةِ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنِّي تَحِيَّةٌ

مَكَانُ أَخِيهِ مِنْ جَزُوعٍ وَلَا جَلْدٍ^(١)
 أَمْ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ خَالَتُ بِهِ بَعْدِي
 وَأَصْبَحْتُ فِي لَذَاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدٍ^(٢)
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
 وَإِنْ كَانَتْ أَلْسُنًا مِنَ الْعَيْنِ لَا تُجْدِي^(٣)
 بِأَنْفَسٍ مِمَّا تَسْأَلَانِ مِنَ الرِّفْدِ^(٤)
 وَلَا شَمَّةٍ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدٍ
 وَإِنِّي لِأُخْفِي مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أَبْدِي
 لِقَلْبِي إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ
 يَكُونَانِ لِلْأَخْرَافِ أَوْرَى مِنَ الزُّنْدِ^(٥)
 فَوَادِي بِمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصِدِ
 يَهِيْجَانِيهَا دُونِي وَأَشْقَى بِهَا وَخِدِي
 فَلِئَنِّي بِدَارِ الْأَنْسِ فِي وَخَشَةِ الْفَرْدِ
 وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَالرَّغْدِ

* * *

(١) الجزوع: الفاقد الصبر.

(٢) ثكلت: فقدت.

(٣) أسعدت بالدمع: ساعدت.

(٤) الرغد: الجود والعطاء.

(٥) أوري: أكثر إيقادًا وإشعالًا. الزند: حديدة من فولاذ تضرب بحجر صوان فينبطح النار.

الباب السادس:

من الشعر الوجدانيّ
في العصر الأندلسيّ

ابن زيدون

هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله المعروف بـ«ابن زيدون». ولد بقرطبة سنة ٣٩٤هـ/١٠٩٣م. أحبّ الأدب، ودرس على علماء قرطبة وأدبائها، وكانوا كثراً. فحفظ الكثير من الشعر والأخبار والسير والحكم والأمثال. ومال إلى اللهو والطرب شأن أهلها، وكان خفيف الظلّ ممّا أكسبه شهرة واسعة في مجالس الأدب والطرب، أسهم بانقلاب الدولة الأموية في الأندلس، فقام على أنقاضها دولة بني جهور، ثم أصبح وزيراً في هذه الدولة، ولقب بذي الوزارتين. ولكن الحساد أوغروا صدر الأمير عليه، فألقاه في السجن. ثم هرب واختفى... مستجيراً بابن الأمير. ولمّا تولّى مكان أبيه، عاد واستوزره من جديد، لكنه لم يؤمن كيد الحساد، فهرب إلى إشبيلية حيث بنو العباد، فاستوزروه، وعاد معهم إلى قرطبة لما استولوا عليها، وجعلوها مقراً لحكمهم. ولعلّ أهمّ حدث في حياته هو حبّه لولادة بنت المستكفي آخر خلفاء بني أميّة، وكانت شاعرة وأديبة، وقد نافسه في حبّه ابن عبدوس، وهذه المنافسة كانت سبباً لحبسه ونظمه أشهر قصائده.

توفي سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م.

أضحى الثاني

أَضْحَى الثَّانِي بَدِيلًا مِنْ تَدَانِيْنَا،
 أَلَا! وَقَدْ حَانَ صُبْحُ الْبَيْنِ، صَبَحْنَا
 مَنْ مُبْلِغِ الْمُلْبِسِيْنَا، بَانْتِزَاجِهِمْ،
 أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَا زَالَ يُضْحِكُنَا
 غِيْظَ الْعِدَا مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فِدَعُوا
 فَانْحَلْ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا
 وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا
 يَا لَيْتَ شِعْرِي، وَلَمْ نُعْتَبِ أَعَادِيَكُمْ
 لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ
 مَا حَقُّنَا أَنْ تُقَرِّوْا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ
 كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسْلِينَا عَوَارِضُهُ،
 بِنْشَمَ وَيْنَا، فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا
 نَكَادُ، حِينَ تَنَاجِيَكُمْ ضَمَائِرُنَا،
 خَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا، فَعَدَتْ
 إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَّقَ مِنْ تَأْلِفِنَا

وَنَابَ عَنْ طَيْبِ لُفْيَانَا تَجَافِينَا
 حَيْنَ، فَقَامَ بِنَا لِلْحَيْنِ نَاعِينَا^(١)
 حُزْنَا، مَعَ الدَّهْرِ لَا يَنْلَى وَيُبْلِيْنَا
 أَنْسَا بِقُرْبِهِمْ، قَدْ عَادَ يُبْكِيْنَا
 بِأَنْ نَعَصَّ، فَقَالَ الدَّهْرُ: آمِيْنَا
 وَانْبَتَّ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا^(٢)
 فَالْيَوْمَ نَحْنُ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا
 هَلْ نَالَ حَظًّا مِنَ الْعُتْبَى أَعَادِينَا^(٣)
 رَأْيَا، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
 بِنَا، وَلَا أَنْ تَسُرُّوا كَاشِحًا فِينَا^(٤)
 وَقَدْ يَتَسَّنَا فَمَا لِلْيَأْسِ يُغْرِينَا^(٥)
 شَوْقًا إِلَيْكُمْ، وَلَا جَفَتْ مَا قِينَا
 يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى لَوْلَا تَأْسِينَا^(٦)
 سُودًا، وَكَانَتْ بَكُمْ بِيضًا لِيَالِينَا^(٧)
 وَمَزَيْعُ اللَّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا

(١) الْحَيْنُ: الْهَلَاكُ.

(٢) انْبَتَّ: انْقَطَعَ.

(٣) نُعْتِبُ: نَرْضِي. وَقَوْلُهُ مِنَ الْعُتْبَى: أَيُّ مِنْ عَتَبَاكُمْ، رِضَاكُمْ.

(٤) الْكَاشِحُ: الْمُبْغِضُ.

(٥) نُرَى: نَظُن. يُغْرِينَا: يُولَعُنَا.

(٦) الْأَسَى: الْحُزْنُ. التَّأْسِي: التَّعْزِي.

(٧) خَالَتْ: تَغَيَّرَتْ.

وَلَاذْ هَصَرْنَا فُتُونِ الْوَصْلِ دَائِيَّةً قِطَافُهَا، فَجَنَيْنَا مِنْهُ مَا شَيْنَا^(١)
لَيْسَقَ عَهْدُكُمْ عَهْدُ السَّرُورِ فَمَا كُنْتُمْ لِأَزْوَاجِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا
لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا إِذْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُجِيبِينَ
وَاللَّهُ مَا طَلَبْتَ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ، وَلَا انصَرَفْتَ عَنْكُمْ أَمَانِينَ

* * *

إن يطل ليلى

وَدَّعَ الصَّبْرَ مُجِيبٌ وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ^(٢)
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطَى إِذْ شَيَّعَكَ^(٣)
يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَاءٌ وَسْنَا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَعَكَ^(٤)
إِنْ يَطُلْ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بِتْ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

* * *

(١) هصر الغصن: جذبه وأماله.

(٢) ودع الصبر: أي: نفذ صبره.

(٣) يقرع السن: يحرقها ندمًا.

(٤) السناء: الإشعاع.

ابن سهل

هو أبو إسحق إبراهيم بن سهل الإشبيلي، ولد في إشبيلية سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، وأقام في سبتة بالمغرب الأقصى. أحب الشعر وقرضه. وكان يهوديًا فأسلم. وقيل: كان مع والي سبتة (ابن خلاص) في زورق، فانقلب بهما فغرقا، وذلك سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م مخلفًا وراءه ديوان شعر صغير يَتميّز بالرقّة والسهولة. من موشحاته:

هَلْ دَرَى ظَنِّي الْحَمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَهُ عَنْ مَكْنَسٍ^(١)
فَهَوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقَ مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ^(٢)

* * *

يَا بُدُورًا أَطْلَعْتَ يَوْمَ النَّوَى غُرًّا تَسْلِكُ فِي نَهْجِ الْغُرَزِ^(٣)
مَا لِقَلْبِي فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنْكُمْ الْحُسْنُ وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرُ
أَجْتَنِي اللَّذَاتِ مَكْلُومَ الْجَوَى وَالْإِذَاذِي مِنْ حَبِيبِي بِالْفِكَزِ^(٤)

* * *

(١) حمى قلب صب: استقل به وحده. المكنس: مأوى الظبي. حلّه عن مكنس: أي حلّ في قلب الصب بدلًا من المكنس. الصب: العاشق.

(٢) القبس: النار.

(٣) النوى: البعد والافتراق. الغرة: بياض في الجبهة. الغرر: البياض.

(٤) المكلوم: الجريح. الجوى: شدة الوجد.

كُلَّمَا أَشْكُوهُ وَجَدِي بَسَمًا كَالرُّبَى بِالْعَارِضِ الْمُتَبَجِّسِ
إِذْ يُقِيمُ الْقَطْرُ فِيهَا مَاتَمًا وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرْسِ

غَالِبٌ لِي غَالِبٌ بِالتُّوْدَةِ بِأَبِي أَفْدِيهِ مِنْ جَافٍ رَقِيقٍ
مَا رَأَيْنَا مِثْلَ ثَغْرِ نَضْدَةٍ أَفْحُونَا عُصْرَتْ مِنْهُ رَحِيقٌ^(١)
أَخَذَتْ عَيْنَاهُ مِنْهُ الْعَرَبْدَةَ وَقَوَادِي سُكْرُهُ مَا إِنْ يُفِيقُ^(٢)

فَاحِجُمُ الْجُمَّةِ مَغْسُولُ اللَّمَى أَكْحَلُ اللَّحْظِ شَهِيٍّ اللَّعْسِ^(٣)
وَجْهَهُ يَثْلُو الضُّحَى مُبْتَسِمًا وَهُوَ فِي إِعْرَاضِهِ فِي عَبَسِ^(٤)

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ ذُلِّي لَدَيْهِ لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهُوَ الْمُذْنِبُ
أَخَذَتْ شَمْسُ الضُّحَى مِنْ وَجَّتَيْهِ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبُ
دَهَبَتْ أَدْمُعُ أَجْفَانِي عَلَيْهِ وَلَهُ خَدٌّ بِلَحْظِي مُذْهِبُ

يَنْبُتُ الْوَزْدُ بِغَرْسِي كُلَّمَا لَاحَظْتُهُ مُقْلَتِي فِي الْخُلْسِ
لَيْتَ شِغْرِي أَيُّ شَيْءٍ حَرَمًا ذَلِكَ الْوَزْدُ عَلَى الْمُغْتَرِسِ؟

(١) نَضْدَةٍ: جمعه متناسقًا. الرقيق: الخمرة الصافية، أو الطيب.

(٢) الْعَرَبْدَةُ: سوء الخلق.

(٣) الْجُمَّة: الشعر. اللَّمَّة: سمرة الشفاه. اللَّعْس: سواد في الشفة.

(٤) الضحى وعبس: من سور القرآن الكريم.

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حُرْقِي عَادَرْتَنِي مُقْلَتَاهُ دَنِقًا^(١)
تَرَكْتُ الْحَاظُهُ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ النَّمْلِ عَلَى صُمِّ الصِّفَا^(٢)
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِيَ لَسْتُ أَلْحَاهُ عَلَى مَا أَتْلَفَا^(٣)

* * *

فَهَوَّ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا وَعَذُولِي نُطْقُهُ كَالْخَرَسِ^(٤)
لَيْسَ لِي فِي الْحُبِّ حُكْمٌ بَعْدَمَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلُّ النَّفْسِ

* * *

مِنْهُ لِلنَّارِ بِأَخْشَائِي اضْطِرَامٌ يَلْتَظِي فِي كُلِّ حِينٍ مَا يَشَا
وَهِيَ فِي خَدَّيْهِ بَرْدٌ وَسَلَامٌ وَهِيَ ضُرٌّ وَحَرِيقٌ فِي الْحَشَا^(٥)
أَتَّقِي مِنْهُ عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ أَسَدَ الْعَابِ وَأَهْوَاهُ رَشَا^(٦)

* * *

قُلْتُ لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُعْلَمَا وَهَوَّ مِنْ أَلْحَاظِهِ فِي حَرَسِ
أَيْهَا الْآخِذُ قَلْبِي مَعْنَمَا إِجْعَلِ الْوَضْلَ مَكَانَ الْخُمْسِ^(٧)

* * *

(١) الدنف: المعنى، المريض.

(٢) الصفا: ج الصفاة، وهي الصخرة الملساء.

(٣) ألحاه: أبغضه.

(٤) العذول: اللآثم.

(٥) الحشا: القلب.

(٦) الرشأ: الظبي الصغير.

(٧) الخمس: نصيب قائد الجيش من الغنيمة.

لسان الدين بن الخطيب

هو محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني الوزير والمؤرخ والشاعر. وُلد بغرناطة سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م. كان وزيراً لأبي الحجاج يوسف بن إسماعيل، ولما كثر حساده هرب إلى سبتة، ثم إلى تلمسان حيث أكرمه واليها السلطان عبد العزيز بن علي المريني. لُقّب بذي الوزارتين (القلم والسيف)، كما لقب بذي العُمَرنين، لأنه كان يشتغل بالتصنيف ليلاً، ويتدبير شؤون الوزارة نهاراً.

تعرّض كثيراً للدهائن وأتهم بالزندقة وحبس، وأخيراً مات خنقاً سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م تاركاً وراءه مؤلفات عدّة منها: «الإحاطة في تاريخ غرناطة» و«الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية».

جادك الغيث

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلُسِ^(١)
لَمْ يَكُنْ وَضْلُكَ إِلَّا حُلْمًا فِي الْكَرَى أَوْ خِلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ^(٢)

(١) جاد: كثر. الغيث: المطر. همى: سقط.

(٢) الكرى: النوم.

فِي لَيَالٍ كَتَمْتَ سِرَّ الْهَوَى
مَالَ نَجْمِ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى
وَطَرَّ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبِ سِوَى
حِينَ لَدَّ الْأَنْسُ شَيْئًا أَوْ كَمَا
غَارَتْ الشُّهُبُ بِنَا أَوْ رُبَّمَا
بِالدَّجَى لَوْلَا شُمُوسُ الْعُرَى
مُسْتَقِيمِ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ
أَنَّهُ مَرَّ كَلَمَحِ الْبَصْرِ^(١)
هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومَ الْحَرَسِ
أَثَرَتْ فِيْنَا عُيُونُ النَّزْجِسِ

* * *

يَا أَهْلَ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْعَصَا
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَضَا
فَأَعِينُوا عَهْدَ أَنْسٍ قَدْ مَضَى
وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَخِيُوا مُغْرَمَا
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا
وَبِقَلْبِي مَسْكَنٌ أَنْتُمْ بِهِ
لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ
تَعْتِقُوا عَبْدَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ^(٢)
يَتَلَأَشَى نَفْسًا فِي نَفْسٍ
أَفْتَرِضُونَ عَفَاءَ الْحَبَسِ^(٣)

* * *

وَبِقَلْبِي مِنْكُمْ مُقْتَرَبُ
قَمَرٍ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ
سَاحِرُ الْمُقْلَةِ مَغْسُولُ اللَّمَى
سَدَّدَ السَّهْمَ فَأَضْمَى إِذْ رَمَى
بِأَحَادِيثِ الْمُنَى وَهُوَ بَعِيدُ
شَقْوَةِ الْمُغْرَى بِهِ وَهُوَ سَعِيدُ
فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ^(٤)
جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالِ النَّفْسِ
بِفُؤَادِي نَبْلَةَ الْمُفْتَرِسِ^(٥)

* * *

(١) الوطر: الحاجة.

(٢) تعتقوا: تحرروا. الكرب: الحزن والأسى.

(٣) العفاء: الهلاك.

(٤) الوعيد: التهديد.

(٥) أصمى: أصاب فقتل.

إِنْ يَكُنْ جَارَ وَخَابَ الْأَمَلُ فَقُوَاذِ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبُ
فَهَوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبٌ أَوَّلُ لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِمَحْبُوبٍ ذُنُوبُ
أَمْرُهُ مُغْتَمَلٌ مُمْتَثِلٌ فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَاهَا وَقُلُوبُ
حَكَمَ اللَّحْظُ بِهَا فَاخْتَكَمَا لَمْ يُرَاقِبْ فِي ضِيفَايِ الْأَنْفُسِ
يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَا وَمُجَازِي الْبِرِّ مِنْهَا وَالْمُسِي^(١)

* * *

مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ
جَلَبَ الْهَمُّ لَهُ وَالْوَصْبَا فَهَوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهْدٍ جَهِيدُ^(٢)
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا قَوْلُهُ: إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدُ
لَاعِجٌ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرِمَا فَهِيَ نَارٌ مِنْ هَشِيمِ الْيَبَسِ^(٣)
لَمْ يَدْغْ فِي مُهْجَتِي إِلَّا الدِّمَا كَبَقَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الْغُلَسِ^(٤)

* * *

(١) المُسي: المُسي.

(٢) الوصب: التعب. الأشجان: الأحزان.

(٣) اللاعج: الحب المحرق.

(٤) الغلس: ظلمة آخر الليل.

علي الحصريّ

هو أبو الحسن عليّ بن عبد الغنيّ الفهرّيّ الحصريّ (١٠٠٠ - ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) شاعر ضريب مشهور من أهل القيروان. انتقل إلى الأندلس، ومات في طنجة. اتصل ببعض الملوك، ومدح المعتمد بن عباد بقصائد، وألف له كتاب «المستحسن من الأشعار». له «ديوان شعر» بقي بعضه مخطوطاً، و«اقتراح القريح واجترار الجريح» مرّتب على حروف المعجم في رثاء ولد له، و«معشرات الحصري» في الغزل والنسيب^(١).

اشتهر بالموشّح الذي مطلعته:

«يا ليلُ الصّبِّ متى غَدُهُ».

وفيما يلي نصّ هذا الموشّح.

يا ليلُ الصّبِّ

يا لَيْلُ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وَقَدْ السُّمَارُ وَأَرْقَهُ أَسْفُ لِّلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
كَلِّفَ بِغَزَالِ ذِي هَيْفٍ صَوْتُ الْوَاشِينِ يُشَرِّدُهُ^(٢)

(١) الزركلي: الأعلام ٤/ ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) كَلِّفَ: مَوَّلَعَ مُتَّيِّم. هَيْفَ: رَقَّةُ الْخَصْرِ وَضُمُورُ الْبَطْنِ وَرَشَاقَةُ الْقَوَامِ.

نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرْكَاءَ بِالنُّومِ، فَعَزَّ تَصِيدُهُ^(١)

* * *

صَاحِ وَالْخَمْرُ جَنَى فِيهِ سَكَرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِبُهُ
يَنْضَوُ مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا وَكَأَنَّ نُعَاسًا يَغْمُدُهُ^(٢)
فَيُرِيْتُ دَمَ الْعَشَّاقِ بِهِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ^(٣)
يَا مَنْ جَحَدْتَ عَيْنَاهُ دَمِي وَعَلَى خُدَّيْهِ تَوَرَّدُهُ^(٤)
خَذَاكَ قَدْ أَعْتَرَفَا بِدَمِي فَعَلَامَ جَفَوْنِكَ تَجَحَّدُهُ؟
كَلَّا لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلْتُ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
إِنِّي لِأُعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي وَأَظُنُّكَ لَا تَتَعَمَّدُهُ

* * *

(١) شَرْكَاءَ: فُخَاءَ، مَصِيدَةً. عَزَّ: امْتَنَعَ وَصَعِبَ.

(٢) يَنْضَوُ: يَسْتَلُّ، وَيُتَتَرَع.

(٣) يُرِيْتُ: يَسْفِكُ. يَتَقَلَّدُهُ: يَحْمِلُهُ.

(٤) جَحَدْتُ: أُنْكِرْتُ. تَوَرَّدَهُ: احْمَرَّاهُ، وَالْمَقْصُودُ الْإِشَارَةُ إِلَى خُمْرَةِ دَمِ الْعَاشِقِ الْمَقْتُولِ.

المعتمد بن عباد

هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي (٤٣١هـ / ١٠٤٠ - ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما، وأحد أفراد الدهر شجاعةً وحزمًا وضبطًا للأمور. كان مقصدًا للعلماء والشعراء والأمراء، وما اجتمع في باب أحد من ملوك عصره ما كان يجتمع في باب من أعيان الأدب. وكان شاعرًا وكاتبًا. هزمه يوسف بن تاشفين صاحب مراكش، فأأسره، وأودعه السجن في أغمات، وهي بلدة صغيرة وراء مراكش. فبقي في سجنه حتى مات. وللشعراء في اعتقاله وزوال ملكه قصائد كثيرة. له ديوان شعري. ومن شعره الوجدانيّ نقتطف ما يلي:

* * *

ولمّا وقفنا للوداع عُديّةً وقد خفقت في ساحة القصر رايات
بكينا دما حتّى كأنّ عيوننا بجري الدموع الحمر منها جراحات

* * *

لولا العيون من الواشين ترمقني وما أحاذره من قول حراس
لزرثكم لا أكافيكم بجفوتكم مشيا على الوجه أو سعيًا على الراس

* * *

دخلت عليه يومًا بناته، وهو في السجن، وكان يوم عيد، وكنّ يغزلن للناس بالأجرة في أغمات، حتّى إنّ إحداهنّ غزلت لبيت صاحب الشرطة الذي كان في خدمة أبيها وهو في سلطانه، فرآهنّ في أطمار رثة وحالة

سَيِّئَةً، فَصَدَّعْنَ قَلْبَهُ، وَأَنشَدَ:

فِيمَا مَضَى كُنْتُ بِالْأَعْيَادِ مَسْرُورًا فِسَاءَكَ الْعَيْدُ فِي أَغْمَاتِ مَاسُورَا
تَرَى بَنَاتَكَ فِي الْأَطْمَارِ جَائِعَةً يَغْزُلْنَ لِلنَّاسِ لَا يَمْلِكْنَ قِمَاطِيرَا^(١)
بَرْزَنْ نَحْوِكَ لِلتَّسْلِيمِ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُنَّ حَسِيرَاتٍ مَكَاسِيرَا
يَطَانَنَّ فِي الطِّينِ وَالْأَقْدَامُ حَافِيَةً كَأَنهَا لَمْ تَطَأْ مَسَكًا وَكَافُورَا

وَمِنْهَا أَيْضًا:

لَا خَذَ إِلَّا وَيَشْكُو الْجَدْبَ ظَاهِرَهُ وَلَيْسَ إِلَّا مَعَ الْأَنْفَاسِ مَمْطُورَا
قَدْ كَانَ دَهْرَكَ إِنْ تَأْمُرُهُ مُمْتَلَأًا فَرَدَّكَ الدَّهْرُ مِنْهِيًا وَمَأمُورَا
مَنْ بَاتَ بَعْدَكَ فِي مُلْكٍ يُسْرُ بِهِ فَإِنَّمَا بَاتَ بِالْأَحْلَامِ مَغْرُورَا
وَدَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَلَدَهُ أَبُو هَاشِمٍ، وَالْقِيُودُ قَدْ عَضَّتْ
بِسَاقِيهِ عَضَّ الْأَسُودِ، وَالتَّوْتُ عَلَيْهِ التَّوَاءُ الْأَسَاوِدُ السُّودُ، وَهُوَ لَا يَطِيقُ
إِعْمَالَ قَدَمٍ، وَلَا يُرِيقُ دَمْعًا إِلَّا مَمْتَزَجًا بَدَمٍ، بَعْدَمَا عَهِدَ نَفْسَهُ فَوْقَ مَنْبَرٍ
وَسَرِيرٍ، وَفِي وَسْطِ جَنَّةٍ وَحَرِيرٍ، تَخْفِقُ عَلَيْهِ الْأَلْوِيَّةُ، وَتَشْرِقُ مِنْهُ الْأَنْدِيَّةُ،
فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَى وَقَالَ:

قَيْدِي أَمَا تَعْلَمْنِي مُسْلِمًا أَبَيْتَ أَنْ تَشْفُقَ أَوْ تَرْحَمَا
دَمِي شَرَابٌ لَكَ وَاللَّحْمُ قَدْ أَكَلْتَهُ، لَا تَهْشِمُ الْأَعْظَمَا
يَبْصُرْنِي فِيكَ أَبُو هَاشِمٍ فَيَنْثَنِي وَالْقَلْبُ قَدْ هَشِمَا
أَرْحَمُ طَفِيلًا طَائِشًا لُبُّهُ لَمْ يَخْشَ أَنْ يَأْتِيكَ مُسْتَرْحَمَا
وَأَرْحَمُ أَخِيَّاتٍ لَهُ مِثْلُهُ جَرَعَتْهُنَّ السَّمُّ وَالْعَلْقَمَا
مِنْهُنَّ مَنْ يَفْهَمُ شَيْئًا فَقَدْ خِفْنَا عَلَيْهِ لِلْبَكَاءِ الْعَمَى
وَالْغَيْرِ لَا يَفْهَمُ شَيْئًا فَمَا يَفْتَحُ إِلَّا لِرِضَاعٍ فَمَا

(١) القمطير: الشيء القليل من الدراهم وغيره.

الباب السابع:

من الشعر الوجداني
في العصر الحديث

أبو القاسم الشابي

شاعر تونسيّ مجيد، وُلد في قرية الشابة، جنوبي تونس، سنة ١٩٠٩. كان أبوه قاضيًا وشيخًا، فأخذ عنه أصول العربية والدين. في الحادية والعشرين من عمره أدخل مدرسة «جامع الزيتونة» في تونس، وهي مدرسة دينيّة شهيرة، فاعتنى به شيوخ المدرسة لما كان عليه من ذكاء وقاد، فتخرج بعد سبع سنوات شيخًا مثقّفًا. ثم درس الحقوق، فنال إجازتها سنة ١٩٣٠. بيد أن الأعمال الأدبيّة لم تستهوه، فمال إلى الشعر، وراح يتّصل بالأدباء والمفكرين، ويحرّر المقالات ويغرف من معين الثقافة العربيّة والأجنبيّة، متأثرًا بالأدب المهجري، وخاصة جبران. كان يقرض الشعر ويرسله إلى جماعة «أبولو»، حيث كانوا ينشرونها في مجلّتهم.

وكان لوفاة أبيه أثر كبير على حياته، وسرعان ما تسلّل المرض إلى قلبه، فأوقفه عن الحركة، وهو ما زال في ريعان الشباب. توفي سنة ١٩٣٤ عن خمسة وعشرين عامًا.

* * *

السّامة

سَيِّمْتُ الْحَيَاةَ، وما في الحياة وما إن تَجَاوَزْتُ فَجَرَ الشَّبَابِ
سَيِّمْتُ اللَّيَالِي، وأوجاعها وما شَغَشَعَتْ من رَحِيقِ بَصَابِ

فَحَطَّمْتُ كَاسِي، وَأَلْقَيْتُهَا
فَأَلْتِ، وَقَدْ غَمَرَتْهَا الدُّمُوعُ
وَأَلْقَى عَلَيْهَا الْأَسَى ثَوْبَهُ
فَأَيْنَ الْأَمَانِي وَالْحَانِئَهَا؟
لَقَدْ سَحَقَتْهَا أَكْفُ الظَّلَامِ
فَمَا الْعَيْشُ فِي حَوْمَةٍ بِأَسْهَأَ
كَئِيبٌ، وَجِيدٌ بِأَلَامِهِ
ذَوْتُ فِي الرَّيِّعِ أَزَاهِيرُهَا
لَوَيْنَ الثُّحُورَ عَلَى ذِلَّةٍ
فَحَالَ الْجَمَالُ، وَغَاضَ الْعَبِيرُ
يَوَادِي الْأَسَى وَجَحِيمِ الْعَذَابِ
وَقَرَّتْ، وَقَدْ قَاضَى مِنْهَا الْحُبَابِ
وَأَقْبَرَهَا الصَّمْتُ وَالْإِكْتِئَابِ
وَأَيْنَ الْكُؤُوسُ؟ وَأَيْنَ الشَّرَابِ
وَقَدْ رَشَقَتْهَا شِفَاهُ السَّرَابِ
شَدِيدٌ، وَصَدَّاحُهَا لَا يُجَابِ
وَأَخْلَامِهِ، شَذْوُهُ الْإِنْتِحَابِ
فَيَمْنٌ، وَقَدْ مَصَّهْنُ الثَّرَابِ
وَمُثْنٌ، وَأَخْلَامُهُنَّ الْعَذَابِ
وَأَذْوَى الرَّدَى سِخْرَهُنَّ الْعُجَابِ

* * *

شكوى اليتيم

على ساحلِ البحرِ أينَ يَضِجُ صُراخُ الصَّبَاحِ ونوحُ المَسَا
تَنَهَّدْتُ مِنْ مَهْجَةٍ أَتْرَعْتُ بدمعِ الشَّقَاءِ وشَوْكِ الْأَسَى^(١)
فَضَاعَ التَّنَهُّدُ فِي الضَّجَّةِ
بِمَا فِي ثَنَائِهِ مِنْ لَوْعَةٍ^(٢)
فَسِرْتُ وَنَادَيْتُ: «أَيَا أُمِّ هَيَّا
إِلَيَّ فَقَدْ سَيِّمَتْنِي الْحَيَاةُ»

* * *

(١) أترعت: مُلئت.

(٢) ثنياه: داخله.

وجئتُ إلى الغابِ أسْكُبُ أَوْجَا عَ قَلْبِي نَحِيًّا كَلْفَحِ اللَّهِيْبِ^(١)
 نَحِيًّا تَرْقُرُقُ فِي مُهْجَتِي وَسَلَّ يَرِنُ يَنْدِبِ الْقُلُوبِ^(٢)
 فَلَمْ يَفْهَمِ الْغَابُ أَشْجَانَهُ
 وَظَلَّ يَرْدُّ الْحَانَهُ
 فَسَرْتُ وَنَادَيْتُ: «أَيَا أُمُّ هَيَّا
 إِلَيَّ فَقَدْ عَذَّبْتَنِي الْحَيَاةُ»

* * *

وَقَفْتُ عَلَى النَّهْرِ أَهْرِقُ دَمْعًا تَفْجَرُ مِنْ فَيْضِ حُزْنِي الْأَلِيمِ^(٣)
 يَسِيرُ بِصَمْتٍ عَلَى وَجْهَتِي وَيَلْمَعُ مِثْلَ دُمُوعِ الْجَحِيمِ^(٤)
 فَمَا خَفَّفَ النَّهْرُ مِنْ عَذْوِهِ^(٥)
 وَلَا سَكَتَ النَّهْرُ عَنْ شَدْوِهِ^(٦)
 فَسَرْتُ وَنَادَيْتُ: «أَيَا أُمُّ هَيَّا
 إِلَيَّ فَقَدْ أَضْجَرْتَنِي الْحَيَاةُ»

* * *

وَلَمَّا نَدَبْتُ وَلَمْ يَنْقَعْ وَنَادَيْتُ أُمِّي فَلَمْ تَسْمَعْ^(٧)
 رَجَعْتُ بِحُزْنِي إِلَى وَحْدَتِي وَرَدَّدْتُ نَوْمِي عَلَى مَسْمَعِي

(١) النحيب: البكاء. لفح اللهيب: إحراقه.

(٢) يرِنٌ بالندب: يكي بصوت عال.

(٣) أهرق: أصب. فيض حزني: شدة حزني.

(٤) الوجنة: الخد.

(٥) القدو: السير السريع.

(٦) الشدو: الغناء.

(٧) ندبت: بكيت بصوت مرتفع.

وعانثتُ في وخذتي لوعتي
وقلت لنفسي: «ألا فاسكتي»

* * *

في ظلّ وادي الموتِ

نحنُ نَمْشِي، وَحَوْلَنَا هَاتِيهِ الْأَكْوَا
ن تَمْشِي... لَكِنْ لِأَيَّةِ غَايَةٍ؟
نَحْنُ نَشْدُو مَعَ الْعَصَافِيرِ لِلشَّمْسِ
وَهَذَا الرِّبْعُ يَنْفُخُ نَائِهَ
نَحْنُ نَتْلُو رَوَايَةَ الْكَوْنِ لِلْمَوْتِ
وَلَكِنْ مَآذَا خِتَامُ الرُّوَايَةِ؟
هَكَذَا قُلْتُ لِلرِّيحِ فَقَالَتْ:
«سَلْ ضَمِيرَ الْوُجُودِ: كَيْفَ الْبِدَايَةِ؟»

* * *

وَتَعَشَّى الضُّبَابُ نَفْسِي فَصَاحَتْ
فِي مَلَالٍ^(١) مُرٌّ: «إِلَى أَيْنَ أَمْشِي؟»
قُلْتُ: «سِيرِي مَعَ الْحَيَاةِ» فَقَالَتْ:
«مَا جَعَلْنَا، تُرَى، مِنْ السَّيْرِ أَمْسٍ؟»
فَتَهَافَّتْ كَالهَشِيمِ عَلَى الْأَرْضِ

(١) المَلال: المَلَل.

وَنَادَيْتُ: أَيْنَ يَا قَلْبُ رَفِشِي؟
هَاتِهِ، عَلَّنِي أَخْطُ ضَرْيَحِي
فِي سَكُونِ الدُّجَى وَأَذْفُنْ نَفْسِي

هَاتِهِ فَالظَّلَامُ حَوْلِي كَثِيف...
وَضَبَابُ الْأَسَى مَنِخٌ عَلَيَّ...
وَكُؤُوسُ الْعَرَامِ أَثَرُهَا الْفَجْرُ،
وَلَكِنْ تَحَطَّمَتْ فِي يَدَيَّ...
وَالشَّبَابُ الْغَرِيرُ وَلَّى إِلَى الْمَاضِي
وَحَلَّى التَّحِيْبَ فِي شَفَتَيَّ،
هَاتِهِ، يَا فَوَاذُ إِنَّا غَرِيبَانِ،
نَصُوعُ الْحَيَاةِ فَنَّا شَجِيحَا

قَدْ رَقَصْنَا مَعَ الْحَيَاةِ طَوِيلًا
وَشَدَوْنَا مَعَ الشَّبَابِ سِينِينَا
وَعَدَوْنَا مَعَ اللَّيَالِي حُفَاةً
فِي شَعَابِ الْحَيَاةِ حَتَّى دَمِينَا
وَأَكَلْنَا التَّرَابَ حَتَّى مَلَلْنَا
وَشَرَبْنَا الدُّمُوعَ، حَتَّى رَوِينَا
وَنَثَرْنَا الْأَخْلَامَ وَالْحَبَّ وَالْآلَامَ

وَالْيَأْسَ، وَالْأَسَى، حَيْثُ شِينَا

* * *

ثُمَّ مَاذَا؟ هَذَا أَنَا: صِرْتُ فِي الدُّنْيَا
بَعِيدًا عَنْ لَهْوِهَا وَغِنَاهَا
فِي ظَلَامِ الْفَنَاءِ، أَذْفُنُ أَيَّامِي
وَلَا أَسْتَطِيعُ حَتَّى بُكَاهَا
وَزُهُورُ الْحَيَاةِ تَهْوِي، بِصَمْتٍ
مُحْزِنٍ، مُضْجِرٍ، عَلَى قَدَمَيَّ
«جَفَّ سِحْرُ الْحَيَاةِ، يَا قَلْبِي الْبَاكِي
فَهَيَّا، نَجْرِبِ الْمَوْتَ.. هَيَّا..!»

* * *

الشاعر القروي

هو الشاعر رشيد سليم الخوري، ولد في البربارة، وهي قرية ساحلية لبنانية سنة ١٨٨٧. تلقى علومه في عدة مدارس منها «المدرسة الأميركية» في بيروت. انصرف إلى التعليم ردةً من الزمن، ثم هاجر إلى البرازيل سنة ١٩١٣ حيث عمل بالتجارة دون أن ينقطع عن الأدب والشعر. وظلّ حينه يشده إلى وطنه.

من آثاره: «الرشديات»، و«القرويات»، و«ديوان الشاعر القروي».

* * *

شكوى الغريب

قَضَتِ الصَّبَابَةُ وَانْقَضَى الْأَمْرُ يَا نَاكثًا عَهْدِي لَكَ الشُّكْرُ^(١)
 مَا ضَرَّنِي هَجْرُ الْحَبِيبِ وَمَنْ هَجَرَ الْهَوَى مَا ضَرَّهُ الْهَجْرُ
 نَاءٍ عَنِ الْأَوْطَانِ يَفْصِلُنِي عَمَّنْ أَحَبُّ الْبُرِّ وَالْبَحْرِ^(٢)
 فِي وَحْشَةٍ لَا شَيْءَ يُؤْنِسُهَا إِلَّا أَنَا وَالْوَجْدُ وَالشُّغْرُ
 حَوْلِي أَعَاجِمُ يَرْطُنُونَ فَمَا لِلضَّادِ عِنْدَ لِسَانِهِمْ قَدْرُ^(٣)

(١) ناكث العهد: ناقض الوفاء.

(٢) النائي: البعيد.

(٣) يرطنون: يتكلمون بالأعجمية. الضاد: من أحرف اللغة العربية، وسميت العربية به لفتردها به.

لو عاش بينهم أبْنُ ساعِدَةٍ لَقَضَى وَلَمْ يُسْمَعْ لَهُ ذِكْرُ^(١)
 ناسٍ وَلَكِنْ لَا أُنِيسَ بِهِمْ ومَدِينَةً لَكُنْهَا قَفْرُ
 الشَّمْسُ لِلْأَكْوَانِ ضَاكِكَةٌ عن بَاهِرِ الْأَلْوَانِ تَفْتَرُ^(٢)
 وَالطَّيْرُ تُرْسِلُ شَدْوَهَا طَرَبًا فيجيبها بخيريه النهرُ
 أَمَا أَنَا وَالْهَمُّ كَبِلْنِي صَخْرٌ يُحْسُ وَلِيَتْنِي صَخْرُ
 عَجَبًا وَكَمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَجَبٍ بين السَّعَادَةِ وَالشَّقَا فِثْرُ
 لَا تَغْتَبِنَ الدَّهْرَ فِي كَدْرِ إِنَّ الْمُسَبَّبَ أَنْتَ لَا الدَّهْرُ^(٣)
 مَا دُقْتُ مِنْ فَرْحٍ وَمِنْ تَرْحٍ هو مِنْكَ فَالدُّنْيَا هِيَ الصَّدْرُ^(٤)
 لَا تَبْطُرَنَّ وَلَا تَمُتْ جَزَعًا لَا الْخَيْرُ مُكْتَمِلٌ وَلَا الشَّرُّ^(٥)
 ضَوْءَ النَّهَارِ تَشْوِيهِ سَحَبٌ وتلوح في جُنْحِ الدُّجَى الزُّهْرُ^(٦)

* * *

يَا نَسِيمَ الْبَحْرِ

يَا نَسِيمَ الْبَحْرِ الْبَلِيلَ سَلَامٌ زَاكَ الْيَوْمَ صَبُّكَ الْمُسْتَهَامُ
 إِنْ تَكُنْ مَا عَرَفْتَنِي فَلَكَ الْعُدْرُ، فَقَدْ غَيَّرَ الْمُجِبُّ السَّقَامُ
 أَوْ لَا تَذْكُرُ الْعَلَامَ رَشِيدًا؟ إِنْني يَا نَسِيمُ ذَاكَ الْعَلَامُ
 طَالَمَا رُزْتَنِي إِذَا اتَّصَفَ اللَّيْلُ بِلُبَّائِنَ وَالْأَنَامِ نِيَامُ
 وَرَفَعْتَ الْغِطَاءَ عَنِّي قَلِيلًا فَأَحَسْتُ بِمَزْجِكَ الْأَقْدَامُ

(١) ابن ساعدة: أحد خطباء الجاهلية.

(٢) تفتّر: تضحك.

(٣) الكدر: الحزن والأسى.

(٤) الفرح: ضدّ الترح. الصدر: أول الشيء.

(٥) تبطر: تتكبر عند حلول النعمة. الجزع: الخوف.

(٦) تشويه: تخالطه. الدجى: الظلام. الزهر: النجوم.

وَتَنَبَّهْتُ فَاتِحًا لَكَ صَدْرًا
فَتَغْلَغَلْتُ فِي الْأَضَالِيعِ أَنْفَاسًا
وَلَسَمْتُ الْفُرَادَى تَغْرًا لِشَجَرٍ
يَا نَسِيمَ الْمُحِيطِ مَا هَكَذَا فِي
أَنْتَ إِنْ زُرْتَ فِي الْمَتَامِ صَحِيحًا
مُشَبَّعٌ بِالْبُخَارِ رُوحٌ ثَقِيلٌ
لَسْتُ ذَاكَ الَّذِي عَهْدْتُ يَقُوقُ
ذَاكَ أَزْكَى شَمًا وَالْطَفُ ضَمًّا
يَا لَشَوْقِي إِلَى مَحَاسِنِ قُطْرِ
وَكُرُومِ إِنْ مَرَّ فِيهَا غَرِيبٌ
لَوْ قَضَمْتَ الرِّغِيفَ فِيهِ قَفَارًا
أَيُّهَا النَّازِحُونَ عَوْدًا إِلَيْهِ
كُلَّ حَيٍّ إِلَى الشَّامِ سَيَمْضِي

شَبَّ فِيهِ إِلَى لِقَاكَ ضِرَامٌ
لِطَافًا تَهْفُو إِلَيْهَا الْعِظَامُ
وَلَكُمْ حَجَبُ الثُّغُورِ لِشَامِ
سَاحِلِ الْبَحْرِ عِنْدَنَا الْأَنْسَامُ
غَلَّغَلْتُ فِي عِظَامِهِ الْأَسْقَامُ
بَارِدٌ تَسْتَعِيدُ مِنْكَ الْمَسَامُ^(١)
الشَّيْخُ إِنْ جَرَّ ذَيْلَهُ وَالثَّمَامُ^(٢)
ذَاكَ تُشْفَى بِلَمْسِهِ الْأَجْسَامُ
هَبَطَ الْوَحْيُ فِيهِ وَالْإِلْهَامُ
يَتَوَارَى مِنْ وَجْهِهِ الْكَرَامُ
فَالرُّضَى وَالسُّرُورُ نِعَمَ الْأَدَامُ^(٣)
حَالَمَا يَسْتَتِيبُ فِيهِ السَّلَامُ
حِينَ يُفْضَى إِنْ السَّمَاءُ شَامُ

* * *

(١) تستعيد: تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

(٢) الشيخ والثمام: نوعان من الشجر.

(٣) رغيف قفار: خبز من غير أدام.

الأخطل الصغير

هو بشارة عبدالله الخوري، شاعر لبناني، ولد في بيروت سنة ١٨٩٠. شَبَّ على حبِّ العلم. تعلَّم في مدرسة «الثلاثة أقمار»، ثم في مدرسة الحكمة حيث تخرج فيها.

في سنة ١٩٠٨ أنشأ جريدة «البرق» الأسبوعية، وقد تحوّلت إلى يومية بعد الحرب العالمية الأولى. وفي هذه الفترة كان ينظم قصائده بتوقيع: «الأخطل الصغير». فذاع صيته في الأقطار العربية، فسافر إلى بغداد لتأبين الملك فيصل بن الحسين، وإلى القاهرة للمشاركة في المهرجان الذي أقيم لأمير الشعراء أحمد شوقي والزهاوي، وإلى دمشق لتأبين فوزي الغزي، كما عين مستشاراً فنياً للغة العربية في وزارة التربية الوطنية في بيروت.

توفي سنة ١٩٦٨، مخلفاً وراءه: «الهوى والشباب»، و«ديوان الأخطل الصغير».

* * *

كيف أنسى

كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا خَيَالَاتِ أُمِّي ذِكْرِيَاتِ الصَّبَا وَأَخْلَامَ نَفْسِي
كَيْفَ أَنْسَى الْأَيَّامَ صَفُفُوا وَأَنْسَا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

مَيِّ هَلَّا ذَكَرْتَ تِلْكَ السَّنِينَ بِأَبِي أَنْتَ كَيْفَ لَا تَذْكُرِينَا؟
كَمْ نَشِيقْنَا تُقَى هُنَاكَ وَقُدْسًا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

أَفَلَا تَذْكُرِينَ ذَاكَ الْغَدِيرَا وَالْأَقَايِينَ حَوْلَهُ وَالزُّهُورَا
وَالسُّنُونُو يُحَدِّثُ الْمَاءَ هَمْسًا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

أَفَلَا تَذْكُرِينَ عِنْدَ الْمَغِيبِ يَوْمَ وَافَتْ سَلَمَى كَطِيرٍ غَرِيبٍ
فَارْتَنَّا إِذْ غَابَتِ الشَّمْسُ شَمْسًا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

يَوْمَ كُنَّا فِي الْحَقْلِ نَمْرُحُ زَهْوَا وَسَلِّمَى مَعْنَا وَهِنْدُ وَسَلْوَى
فَصَرَفْنَا النَّهَارَ قَطْفًا وَعَرْسًا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

يَوْمَ كُنَّا نَقْرَأُ هِجَاءً وَكَزَجًا وَسَلِّمَى تَمَحُّو الْأَسَاطِيرَ عُجَجًا
وَهَيَّ تُمْلِي عَلَيَّ فِي الْحَبِّ دَرْسًا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

يَوْمَ سَمَى الرَّفَاقُ سَلَمَى عَرُوسًا وَأَرَادُوا بِأَنْ أَكُونَ الْعَرِيسَا
فَاعْتَنَقْنَا وَقَدْ جَعَلْنَاهُ عُرْسًا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

كَيْفَ أَنْسَى وَقَدْ كَبِرْنَا قَلِيلًا وَذَكَّرْنَا مَا كَانَ ذِكْرًا جَمِيلًا
وَعَرَفْنَا الدُّنْيَا نَعِيمًا وَبُؤْسًا كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

لَسْتُ أَنْسَى مَا عِشْتُ يَوْمَ الْفِرَاقِ وَجِرَاحًا حُمْرًا بِتِلْكَ الْمَاقِي
وَبُكَاهَا وَقَوْلَهَا سَوْفَ تَنْسَى كَيْفَ أَنْسَى؟

* * *

مَنْ مُعِيدٌ إِلَيَّ ذَاكَ الزَّمَانَا وَمُعِيدٌ سَلَمَى إِلَيَّ الْآنَا
لِتَرَى أَنَّنِي وَقَدْ مِتُّ يَأْسَا لَسْتُ أَنْسَى؟

* * *

بدر شاكر السيّاب

هو أديب عراقيّ مجيد، ولد في قرية «جيكور» في جنوب العراق سنة ١٩٢٦، توفيت أمه وهو حدث. وكان في أثنائها شديد التعلّق بها. وكم كانت الصدمة قويّة عندما تزوّج والده ثانية، فترك بيته الأبوي ليعيش مع جدّته لأمّه.

تلقّى علومه الأولى في مدرسة باب سليمان الابتدائيّة بأبي الخصيب، ثم في مدرسة البصرة الثانويّة، وقيل إنّه نظم الشعر وهو في المرحلة الابتدائيّة.

تخرّج في دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٤٨ حيث تضلّع باللغة الانكليزيّة والعربيّة.

كانت حياته ألماً بالـم: حُرّم حنان الأم وهو صغير، وعاش حياة بؤس وشقاء، أضف إلى ذلك المرض الذي أودى بحياته في الكويت، مخلفاً بعض الدواوين، من أشهرها: «أزهار وأساطير»، و«المعبد الغريق»، و«أنشودة المطر».

* * *

على الراية

وَحِيدًا هُنَاكَ.. عَلَى الرَّايَةِ
أَعْدُدُ أَيَّامِي الذَّاهِبَاتِ
وَجَدَدَتِ الْحُزْنَ لِي دَمْعَةً
عَرَفْتُ بِهَا قِصَّتِي فِي الْحَيَاةِ
لَهَا بَيْنَ عَيْنِي وَبَيْنَ الثَّرَى
قَلِي مِثْلُهَا سَفَرَةٌ فِي غَدٍ!!
شَكَوْتُ إِلَى اللَّيْلِ جَوْرَ الْحَيَاةِ
فَقَالَ: وَإِنِّي أَسِيرُ وَتِلْكَ
فَقُلْتُ: وَرُوحِي بِذُلِّ الْأَسَارِ^(١)
فَمَا خَفَقَاتُ فُؤَادِي سِوَى
شَكَوْتُ إِلَى اللَّيْلِ جَوْرَ الْغَرَامِ
فَقَالَ: وَإِنِّي أَحِبُّ النَّهَارَ
كِلَانَا يُفْتَشُّ عَنْ إِلْفِهِ...
فَقُلْتُ وَفِي الْقَلْبِ مِنْ حُبِّهِ
قَسِيمِي بِمَا أَشْتَكِيهِ الدُّجَى
وَقَرَّتْ عَلَى وَجْنَتِي الصَّبَا

جَلَسْتُ أَبْتُ الدُّجَى مَا بِهِ
فَأَبْكِي لِأَيَّامِي الْبَاقِيَةِ
مُحَيَّرَةٌ بَيْنَ أَهْدَابِيهِ
وَتَضْلِيلِ رُوحِي وَأَمَالِيهِ
مَسِيلٌ عَلَى وَجْنَةٍ ذَاوِيهِ
وَلِي مِثْلُهَا قِصَّةٌ دَائِمِيهِ
فَارْتَدُّ يَشْكُو أَذَاهَا لِيهِ
النُّجُومُ الْمُضِيئَاتُ أَغْلَالِيهِ
رَمَتْهَا قَوَى الْجَسَدِ الْعَاثِيهِ
رَيْنِ سَلَايِلِهَا الْقَاسِيهِ
فَأَرْسَلَ آهَاتِهِ الْبَاكِئِهِ
وَيَغْشَى أَطْرَافِي السَّاجِيهِ^(٢)
وَكُلُّ تَفَرُّقٍ فِي نَاحِيهِ
نَوَاطِيرُ تَحْلُمُ بِالرَّاعِيهِ!
فَهَيْهَاتَ أَنْ أَشْتَكِي ثَانِيهِ
مُكَفِّكَةً أَدْمُعِي الْجَارِيهِ!

* * *

(١) الأسار أو الإِسَار: هو القيد.

(٢) السَّاجِيهِ: السَّائِئَةُ.

الياس أبو شبكة

شاعر لبناني، ولد في أميركة سنة ١٩٠٣ أثناء رحلة لوالديه فيها. نشأ في «زوق مكاييل» (قضاء كسروان)، تلقى علومه في معهد «عينطورة» وظل فيه إلى أن وقعت الحرب الكونية الأولى سنة ١٩١٤.

في أثناء الدراسة، فُجع بموت أبيه، فتأثر بذلك كثيرًا، ممّا أورثه الحقد على القدر.

انصرف إلى الترجمة والتحرير في الصحف، وإلى مطالعة آثار كبار الأدباء من عرب وأجانب. كما عمل في حقل التدريس. ولكن العمل الصحافي استهواه أكثر من غيره.

كان أحد مؤسسي «عصبة العشرة»، وهي جمعية أدبية من أعضائها كرم ملحم كرم، وخليل تقي الدين، وتوفيق عوّاد وسواهم.

توفي سنة ١٩٤٧ بعد أن أرهقه المرض تاركًا وراءه شعرًا ونثرًا و مترجمات، منها: «القيثارة»، و«أفاعي الفردوس»، و«لبنان في العالم»، و«تاريخ نابوليون»، و«بول وفرجين».

* * *

إِجْرَحِ الْقَلْبَ

إِجْرَحِ الْقَلْبَ واسقِ شعركَ منه
مصدرُ الصدقِ في الشعورِ هو القلبُ
وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَذِّبْ وَتَغْمِسْ
فَقَوَافِيكَ زخرفٌ وبريقٌ
وَإِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَرْقُ بِحَبِّ
وَالهوى دُونَ أَكْبَدٍ لَيْسَ يَحْيَا
ضَحٌّ بِالْقَلْبِ إِنْ هَوَيْتَ
يَا لَهَا فِي الهوى وَلِيْمَةٌ قَلْبٍ
رَبِّ جَرَحَ قَدْ صَارَ يَنْبُوغُ شَعِيرِ
وَزَفِيرِ أَمْسَى - إِذَا قَدَسَتْهُ الرُّوحُ -

فَدُمُ الْقَلْبِ خَمْرُ الْأَقْلَامِ
وَفِي الْقَلْبِ مَهْبِطُ الْإِلْهَامِ
قَلَمًا فِي قَرَارَةِ الْآلَامِ
كَعِظَامٍ فِي مَدْفِنٍ مِنْ رِخَامٍ^(١)
حَجَرَتْهُ ضَغَائِنُ الْأَيَّامِ^(٢)
فَغَدَاءُ الْهَوَى مِنْ الْأَجْسَامِ
فَلَيْسَ الْقَلْبُ إِلَّا وَلِيْمَةٌ لِلْغَرَامِ^(٣)
سَوْفَ يَبْقَى لَهَا صَدَى فِي الْأَنَامِ^(٤)
تَلْتَقِي عِنْدَهُ النُّفُوسُ الظُّوَامِي^(٥)
ضَرْبًا مِنْ أَقْدَسِ الْأَنْغَامِ

* * *

-
- (١) زخرفٌ: زينة.
(٢) ضغائن: أحقاد.
(٣) وليمة: طعام.
(٤) الأنام: الناس.
(٥) الظوامي: العِطَاش.

خليل مطران

هو خليل بن عبده مطران شاعر القطرين (لبنان ومصر). ولد في مدينة بعلبك سنة ١٨٧٢، في بيت غسانيّ الأصل، محافظ على التقاليد العربيّة. كان أبوه يعمل بالزراعة والتجارة. وكانت أمّه مغرمة بالشعر كوالدتها. تلقّى دروسه الأولى في زحلة، ثم انتقل إلى بيروت حيث تلقّى علومه الثانويّة في المدرسة البطريركية. درس العربيّة على يد الشيخين خليل اليازجي وأخيه إبراهيم.

أحبّ الشعر ونظم فيه، واطّلع على الأدب الأجنبي فأحبّه. هجر لبنان خوفاً من الأتراك إلى باريس، ثم إلى مصر حيث تولّى إنشاء جريدة «الأهرام»، وأسهم في إنشاء «المؤيد»، و«المجلة المصريّة»، ثم أنشأ «الجوائب المصريّة»، وهي جريدة يوميّة لم تعش طويلاً.

تعاطى التجارة، فكانت خسارته فادحة، فعكف على نظم الشعر، فأتحف الأدب بروائع الفريدة، كقصيدة: «المساء»، و«الأسد الباكي»، و«النيرونيّة»، وسواها.

توفي سنة ١٩٤٩.

* * *

المساء

دَاءُ الْمَحْسَبَةِ فِيهِ شِقَائِي مِنْ صَبَوْتِي فَتَضَاعَفَتْ بُرَحَائِي^(١)
 يَا لِلضَّعِيفَيْنِ اسْتَبْدَا بِي وَمَا فِي الظُّلَمِ مِثْلُ تَحَكُّمِ الضَّعْفَاءِ^(٢)
 قَلْبٌ أَذَابَتْهُ الصَّبَابَةُ وَالْجَوَى وَغَلَالَةُ رَثْتٍ مِنَ الْأَدْوَاءِ^(٣)
 وَالرُّوحُ بَيْنَهُمَا نَسِيمٌ تَنْهَدُ فِي حَالِي التَّصَوُّبِ وَالصُّعْدَاءِ^(٤)
 وَالْعَقْلُ كَالْمَصْبَاحِ يَغْشَى نُورُهُ كَدَّرِي وَيُضْعِفُهُ نَضُوبُ دِمَائِي
 إِنِّي أَقَمْتُ عَلَى التَّلْعَةِ بِالْمَنَى فِي غُرْبَةٍ قَالُوا تَكُونُ دَوَائِي^(٥)
 إِنَّ يَشْفِ هَذَا الْجَسْمَ طِيبُ هَوَائِهَا أَيْلَاطُ الْخَيْرَانِ طِيبُ هَوَاءِ
 أَوْ يُمَسِّكُ الْحَوِيَاءَ حَسَنُ مَقَامِهَا هَلْ مَسْكَةٌ فِي الْبُعْدِ لِلْحَوِيَاءِ^(٦)
 عَبَثٌ طَوَافِي فِي الْبِلَادِ وَعَلَّةٌ فِي عِلَّةٍ مَنَفَايَ لَأَسْتَشْفَاءِ^(٧)
 مَتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي مَتَفَرِّدٌ بِكَأَبَتِي مَتَفَرِّدٌ بِعَنَائِي
 شَاكٍ إِلَى الْبَحْرِ أَضْطَرَابَ خَوَاطِرِي فَيُجِيبُنِي بِرِيَاكِ الْهَوَجَاءِ^(٨)
 ثَابِرٌ عَلَى صَخْرٍ أَصَمٍّ وَلَيْتَ لِي قَلْبًا كَهَذَا الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
 يَنْتَابُهَا مَوْجٌ كَمَوْجٍ مَكَارِهِي وَيَفْثُهَا كَالسُّقْمِ فِي أَعْضَائِي^(٩)

(١) الصبوة: الميل إلى الفتوة. البرحاء: الأذى والمشقة.

(٢) الضعيفان: هما مرض الجسم ومرض القلب.

(٣) الصبابة: الحب الشديد. الجوى: حرقه الفؤاد. الغلالة: ما يلي الجسد من الثياب.
 رثت: بليت.

(٤) التصويب والصعداء: حركتا التنفس، أي: الشهيق والزفير.

(٥) التلعة: ما يُتعلل به.

(٦) الحوياء: الروح.

(٧) الطواف: التجوال.

(٨) الهوجاء: الشديدة.

(٩) المكاره: ما يكرهه الإنسان. ينتابها: يصيبها مرة بعد مرة. السقم: المرض.

والبحرُ خَفَاقُ الجَوَانِبِ ضَائِقُ
تَغْشَى البريّةَ كُذْرَةٌ وكَأَنَّهَا
والأفقُ مُعْتَكِرٌ قَرِيحٌ جَفْنُهُ
يا لِلْعُرُوبِ وما به من عُبْرَةٍ
أوليسَ نَزْعًا للنهارِ وصرعةً
أوليسَ محوًا للوجودِ إلى مَدَى
حتى يَكُونَ النورُ تَجْدِيدًا لها
ولقد ذَكَرْتُكَ والنهارُ مودّعٌ
وخواطري تبدو ثُجَاةً نواظري
والدمعُ من جَفْنِي يسيلُ مشعشعًا
والشمسُ في شَفَقٍ يسيلُ نُضَارُهُ
مَرَّتْ خِلَالَ غَمَامَتَيْنِ تَحَدَّرَا
فَكَأَنَّ آخِرَ دَمْعَةٍ للكونِ قد

كَمَدًا كَصَدْرِي سَاعَةَ الإِمْسَاءِ^(١)
صَعِدَتْ إلى عَيْنِي من أَحْشَائِي^(٢)
يُغْضِي على الْعَمَرَاتِ والأَقْدَاءِ^(٣)
لِلْمُسْتَهَامِ وَبِئْرَةٍ لِرَثَائِي^(٤)
لِلشَّمْسِ بَيْنَ جَنَازَةِ الأَضْوَاءِ^(٥)
وإِبَادَةِ لمَعَالِمِ الأَشْيَاءِ^(٦)
وَيَكُونُ شَبَهَ البَعثِ عَوْدُ ذُكَايَ^(٧)
والقَلْبُ بَيْنَ مَهَابَةٍ وَرَجَاءِ
كَلَمِي كَدَامِيَةِ السَحَابِ إِزَائِي^(٨)
بِسَنَا الشَّعَاعِ الغَارِبِ المِثْرَائِي^(٩)
فوق العَقِيقِ على ذَرَى سَوْدَاءِ^(١٠)
وتَقَطَّرَتْ كَالدَّمَعةِ الحَمْرَاءِ^(١١)
مُزِجَتْ بِآخِرِ أَدْمَعِي لِرَثَائِي

(١) خَفَاق: مضطرب. الكمد: الحزن.

(٢) الكدرة: الغشاوة، أو السواد.

(٣) قرح: جريح. معتكر: شديد السواد. يغضي: يطبق جفنيه. الغمرات: الشدائد. الأقداء:

ج القلدي، وهو ما يُدْمَع العين.

(٤) العبرة: الدمعة. العبرة: العظة.

(٥) النزع: حالة المريض المشرف على الموت. الاحتضار.

(٦) معالم: رسوم.

(٧) ذكاء: الشمس.

(٨) كلمي: جريحة.

(٩) مشعشعًا: ممزوجةً. السنا: الضياء. المِثْرَائِي: المعكوس على صفحة البحر.

(١٠) الشفق: بقية ضوء الشمس. النضار: الذهب. العقيق: الخرز الأحمر.

(١١) التحذر: النزول.

وكأنتني آنستُ يومي زائلاً فرأيتُ في المرآة كيف مسائي^(١)

* * *

الأسد الباكي

دَعَوْتُكَ أَسْتَشْفِي إِلَيْكَ فَوَافِنِي
فَإِنْ تَرْنِي وَالْحُزْنَ مِلْءُ جَوَانِحِي
وَكَمْ فِي فَوَادِي مِنْ جراح ثَخِيَّةٍ
إِلَى «عَيْنِ شَمْسٍ» قَدْ لَجَأْتُ وَحَاجَتِي
أَسْرِي هُمُومِي بِانْفِرَادِي آمِنًا
يَخَالُونَ أَنِّي فِي مَتَاعِ حَيَالِهَا
أَرَى رَوْضَةً لِكِنِّهَا رَوْضَةُ الرَّدَى
وَأَنْظُرُ مَنْ حَوْلِي مُشَاءً وَرُكْبًا
كَأَنِّي فِي رُؤْيَا يَزُقُّ الْأَسَى بِهَا
وَمَا «عَيْنُ شَمْسٍ» غَيْرُ مَا ارْتَجَلَ النُّهَى
بَتَوَّاهَا فَأَغْلَوْهَا وَمَا هُوَ غَيْرَ أَنْ
بَدَتْ إِزْمُ ذَاتِ الْعِمَادِ كَأَنَّهَا
كَفَتْهَا لِيَالٍ نَزْرَةً فَتَجَدَّدَتْ
وَعَالَطَ فِيهَا الْبُعْثُ مَا خَالَطَ الْجَلَى
هُنَاكَ أُبِيحُ الشَّجْوُ نَفْسًا مَنِيعَةً

عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْكَ أَنَّكَ لِي آسِي^(٢)
أُذَارِيهِ فَلْيَغْرُزْكَ بِشَرِي وَإِنِّي آسِي
يُحِبُّبُهَا بُرْدَايَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ
طَلَّاقَةً جَوْ لَمْ يُدَسِّنْ بِأَرْجَاسِ
مَكَائِدَ وَاشِ أَوْ نَمَائِمَ دَسَّاسِ
وَأَيُّ مَتَاعٍ فِي جَوَارِ لِديِمَاسِ^(٣)
وَأُضْغِي وَمَا فِي مَسْمَعِي غَيْرُ وَسْوَاسِ
عَلَى مُزْجِيَّاتٍ مِنْ دُخَانٍ وَأَفْرَاسِ^(٤)
طَوَائِفَ جِنِّ فِي مَوَاكِبِ أَغْرَاسِ
يَقْفِرُ جَدِيدٍ مِنْ مَبَايِنِ وَأَغْرَاسِ
جَرَتْ أَحْرُفُ مَرْسُومَةٍ فَوْقَ قِرْطَاسِ
مِنَ الْقَاعِ شَدَّتْهَا التُّجُومُ بِأَمْرَاسِ^(٥)
ثَوَابِتَ أَزْكَانٍ رَوَّاسِيخَ آسَاسِ
بِهَا مِنْ ضُرُوبٍ مُحَدَّثَاتٍ وَأَجْنَاسِ
عَلَى الضُّيْمِ مَهْمَا يَفْلُلِ الضُّيْمُ مِنْ بَاسِ

(١) آنست: رأيت.

(٢) الآسي: مداري الجراح.

(٣) الديماس: الحفير تحت الأرض، القبر.

(٤) مُزْجِيَّات: مدفوعات.

(٥) إزم: اسم مدينة قديمة ذكرت في القرآن. الأمراس: الحبال.

أُولَئِكَ عُوَادِي وَلَيْسُوا بِجُلَاسِي
وَفِي النَّفْسِ مَا فِيهَا مِنَ الْحُزَنِ وَالْبَاسِ
إِذَا لَمْ أَطِقْ صَبْرًا فَأَطْلَقْتُ أَنْفَاسِي
لَأَرْحَمَ صَاحِبِي أَنْ يُلِمَّ بِهِمْ بِأَسِي
إِذَا مَرَّ ذَاكَ الطِّيفُ وَادَّكَرَ النَّاسِي
لَهُ مُسْعِدٌ لَمْ يَمْلِكِ الدَّهْرُ إِنْتَعَاثِي
عَنِ الْوَرْدِ مِنْهَا نَفْرَةً الطَّائِرِ الْحَاسِي
مَلَامَةً رُوَادٍ وَشُبُهَةً جَوَاسٍ^(١)
أَرَأَيْتَ عَلَيْهَا سَهْمَهُ مُعْتَدٍ قَاسٍ^(٢)
وَأُخْفِضُ مِنْ عَطْفٍ عَلَى جُرْجِهَا رَاسِي
أَنَا الْأَمْلُ الدَّاجِي وَلَمْ يَخْبُ نِيَّاسِي^(٣)
أَنَا الرَّمْسُ يَمْشِي دَائِمًا فَوْقَ أَرْوَاسِ
وَنِعْمَةً فِكْرِي فَوْقَ شَقْوَةِ إِحْسَاسِي
عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ مِنْكَ أَنَّكَ لِي آسِي

يَمُرُّ بِي الْإِخْوَانُ فِي خَطَرَاتِهِمْ
أَهْشُ إِلَيْهِمْ مَا أَهْشُ تَلَطُّفًا
ذَرُونِي وَانْجُوا مِنْ شَطَايَا تُصِيبُكُمْ
فَإِنِّي عَلَى مَا نَالَنِي مِنْ مَسَاءَةٍ
ذَرُونِي لَا يَمْلِكُ وَجِيفِي قُلُوبَكُمْ
فَتَاللهِ لَوْلَا ذَلِكَ الطِّيفُ وَالْهَوَى
ذَرُونِي أَحْسُ الْخَمَرَ غَيْرَ مُنْقَرٍ
ذَرُونِي أَنْكُسَ هَامَتِي غَيْرَ مُتَّقٍ
فِي حُرَّةٍ بِكَرٍّ ضُلُوعِي سِيَّاجُهَا
أَعِيدُ إِلَيْهَا كُلَّ حِينٍ نَوَاطِرِي
أَنَا الْأَلَمُ السَّاجِي لِبُعْدِ مَزَافِرِي
أَنَا الْأَسَدُ الْبَاكِي، أَنَا جَبَلُ الْأَسَى
فَيَا مُتَنَهَى حُبِّي إِلَى مُتَنَهَى الْمُنَى
دَعْوَتِكَ أَسْتَشْفِي إِلَيْكَ فَوَافِنِي

* * *

(١) جواس: جمع جاش وهو من يتردد ويطوف.

(٢) حرة بكر: يريد بها نفسه. أراش السهم: ألزق عليه الريش.

(٣) الساجي: الساكن. المزافر: جمع مزفر وهو الزفر أو الوقع الذي يزفر منه.

أحمد شوقي

هو أمير الشعراء أحمد شوقي بن علي بن أحمد (١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م - ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م). مولده ووفاته في القاهرة. عاش حياته كلها للشعر يستوحيه من المشاهدات والحوادث. وعالج أكثر فنونه، فجرى شعره على كلّ لسان. من آثاره «الشوقيات»، وهو ديوان شعره، و«دول العرب»، و«مصرع كليوباترة»، و«عنترة»، و«مجنون ليلى»، و«قمبيز»، وغيرها.

من قصائده الوطنية نثب القصيدة التالية التي قالها عندما دخل الفرنسيون دمشق في ١٨ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٢٥م، بعد أن ضربوها بالمدافع أربعاً وعشرين ساعة، فقال شوقي في المناسبة:

* * *

نكبة دمشق

سَلَامٌ مِنْ صَبَا بَرَدَى أَرْقُ وَدَمْعٌ لَا يُكْفَكُفُ يَا دِمَشْقُ^(١)
وَمَغْذِرَةُ الْيَرَاعَةِ وَالْقَوَافِي جَلَالُ الرُّزْءِ عَنْ وَصْفِ يَدِي^(٢)
وَذِكْرِي عَنْ خَوَاطِرِهَا لِقَلْبِي إِلَيْكَ تَلَفْتُ أَبَدًا وَخَفْتُ

(١) الصَّبَا: الريح اللطيفة، بردى: نهر في دمشق، كفكف: مسح.

(٢) اليراعة: القلم، القوافي: الشعر، الرزء: المصائب.

وبي مما رَمَتْكَ بِهِ اللَّيَالِي
لَحَاها اللهُ أَنْبَاءَ تَوَالَتْ
يُقْصِّلُها إلى الدُّنْيَا بَرِيدٌ
تَكَادُ لِرُوعَةِ الْأَخْدَانِ فِيها
أَلَسْتَ بِمَشْقُ لِلْإِسْلَامِ ظِئْرًا
وَكُلُّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ
سَمَاوُكَ مِنْ حُلَى الْمَاضِي كِتَابٌ
بَنِيَتْ الدَّوْلَةُ الْكُبْرَى وَمُلْكًا
لَهُ بِالشَّامِ أَعْلَامٌ وَعُزُسٌ
رِبَاعُ الْخُلْدِ وَيَحْكُ مَا ذَهَابَ
بِلَيْلٍ لِلْقَدَائِفِ وَالْمَنَايَا
إِذَا عَصَفَ الْحَدِيدُ أَحْمَرُ أَفُقٌ
سَلِي مَنْ رَاعَ غَيْدَكَ بَغْدَ وَهْنٍ
وَلِلْمُسْتَغْمِرِينَ وَإِنْ الْأَنْوَا
إِذَا مَا جَاءَهُ طَلَابُ حَقٍّ
دَمُ الثُّوَارِ تَغْرِفُهُ فَرْنَسَا
بِلَادٌ مَاتَ فِثْيَتُها لِتَحْيَا

جِرَاحَاتُ لَهَا فِي الْقَلْبِ عُمُقُ
عَلَى سَمْعِ الْوَلِيِّ بِمَا يَشْقُ^(١)
وَيَخْمِلُها إِلَى الْآفَاقِ بَرَقُ
تُخَالُ مِنَ الْخِرَافَةِ وَهِيَ صِدْقُ
وَمُرْضِعَةُ الْأَبُوءِ لَا تُعَقُّ^(٢)
لَهَا مِنْ سَرْجِكِ الْعُلُويِّ عِزْقُ^(٣)
وَأَرْضُكَ مِنْ حُلَى التَّارِيخِ رِقُّ^(٤)
غِبَارُ حَضَارَتَيْهِ لَا يُشْقُ
بِشَائِرِهِ بِأَنْدَلُسِ ثَدَقُ
أَحَقُّ أَنَّها دَرَسَتْ أَحَقُّ؟^(٥)
وَرَاءَ سَمَائِهِ خَطْفٌ وَصَغَقُ
عَلَى جَنَبَاتِهِ وَأَسْوَدُ أَفُقُ^(٦)
أَبِينِ قُوَادِهِ وَالصَّخْرِ فَرْقُ^(٧)
قُلُوبُ كَالْجِجَارَةِ لَا تَرِقُ
يَقُولُ: عِصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا
وَتَغْلَمُ أَنَّهُ نُورٌ وَحَقُّ
وَزَالُوا دُونَ قَوْمِهِمْ لِيَبْقُوا

(١) لحاها الله: لعنها الله. الولي: الصديق. يشق: يصعب.

(٢) الظئر: المرضعة لولد غيرها. عق: عصى، أنكر الجميل.

(٣) السرح: شجر مرتفع.

(٤) رق: جلد رقيق يكتب فيه.

(٥) درست: زالت وأمحت.

(٦) الحديد: كناية عن المدافع.

(٧) راع: أفرع. الغيد: ج «غادة» وهي المرأة الناعمة. وهن: متصف الليل أو بعده.

وَحُرِّزَتِ الشُّعُوبُ عَلَى قَنَاهَا وَحُرِّزَتِ الشُّعُوبُ عَلَى قَنَاهَا
 بَنِي سُورِيَّةَ أَطْرَحُوا الْأَمَانِي بَنِي سُورِيَّةَ أَطْرَحُوا الْأَمَانِي
 نَصَحْتُ، وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَارًا نَصَحْتُ، وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَارًا
 وَيَجْمَعُنَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادُ وَيَجْمَعُنَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادُ
 وَقَفْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ وَقَفْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ
 وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمٍ كُلِّ حُرٍّ وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمٍ كُلِّ حُرٍّ
 وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنِيَا وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنِيَا
 وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضُّحَايَا وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضُّحَايَا
 فِي الْقَتْلِ لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ فِي الْقَتْلِ لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ
 وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمَاءِ بَابٌ وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمَاءِ بَابٌ

* * *

(١) قناها: رماحها. تسترق: تُستعبد.

(٢) إشارة إلى أَنَّ اللغة هي الجامع المشترك بين الدول العربية.

(٣) سلفت: سبقت.

(٤) عتق: حرَّية.

(٥) مضرجة: مصبوغة بالدماء.

إبراهيم ناجي

هو الشاعر المصري الطبيب إبراهيم ناجي أحمد (١٨٩٨م/١٣١٦هـ - ١٩٥٣م/١٣٧٢هـ). مولده ووفاته في القاهرة. له ثلاثة دواوين شعرية جُمِعت فيما بعد في ديوان واحد، وهي: «ليالي القاهرة»، «وراء الغمام»، و«ديوان الطائر الجريح». وله أيضًا مؤلفات طبيّة ونفسية واجتماعية عدّة، شعره عذب رقيق، أجمله في الغزل.

* * *

الأطلال^(١)

«هذه قصة حب عاثر، التقيا وتحابا، ثم أنتهت القصة بأنها هي صارت أطلال جسد، وصار هو أطلال روح، وهذه الملحمة تُسجّل وقائعها كما حَدَّثَ».

يا فؤادي، رَحِمَ اللهُ أَلْهَوَى كَانَ صَرْحًا مِنْ خَيَالِ فَهَوَى
اسْقِنِي وَأَشْرَبْ عَلَى أَطْلَالِهِ وَأَزِرْ عَنِّي، طَالَمَا الدَّمْعُ رَوَى
كَيْفَ ذَاكَ الْحُبِّ أَمْسَى خَبْرًا وَحَدِيثًا مِنْ أَحَادِيثِ الْجَوَى

* * *

(١) هذه مقتطفات من القصيدة التي تجدها كاملة في ديوانه.

لَسْتُ أَنْسَاكَ، وَقَدْ نَادَيْتَنِي
وَيْدِ تَمْتَدُّ نَحْوِي كَيْدِ
وَبَرِيقِ يَظْمَأُ السَّارِي لَهُ
بِفَمِ عَذْبِ الْمُنَادَاةِ رَقِيقِ
مِنْ خِلَالِ الْمَوْجِ مُدَّتْ لِعَرِيقِ
أَيْنَ فِي عَيْنَيْكَ ذِيَاكَ الْبَرِيقِ؟

ذَهَبَ الْعُمُرُ هَبَاءً، فَأَذْهَبِي
أَنْظُرِي ضِخْكِ وَرَقْصِي فَرِحًا
وَيَرَانِي النَّاسُ رُوحًا طَائِرًا
لَمْ يَكُنْ وَعْدُكَ إِلَّا شَبَحًا
وَأَنَا أَخْمِلُ قَلْبًا دُحِبًا
وَالْجَوَى يَطْحَنُنِي طَحْنُ الرِّحَى

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي حَبِيبٌ سَاحِرٌ
وَإِنَّهُ الْخُطْوَةُ يَمْشِي مَلِكًا
عَبَقُ السُّخْرِ كَأَنْفَاسِ الرَّبِّ
مُشْرِقُ الْطُلُوعَةِ، فِي مَنْطِقِهِ
فِيهِ نُبْلٌ وَجَلَالٌ وَحَيَاءٌ
ظَالِمُ الْحُسْنِ، شَهِي الْكِبْرِيَاءِ
سَاهِمُ الطَّرْفِ كَأَخْلَامِ الْمَسَاءِ
لُغَةُ الثَّوْرِ، وَتَغْبِيرُ السَّمَاءِ

أَيْنَ مِنِّي مَجْلِسُ أَنْتِ بِهِ
وَأَنَا حُبٌّ وَقَلْبٌ وَدَمٌ
وَمِنْ الشُّوقِ رَسُولٌ بَيْنَنَا
وَسَقَانَا، فَأَتَفَضُّنَا لَحْظَةً
فِتْنَةٌ تَمُتُ سَنَاءً وَسَنَى
وَفَرَّاشٌ حَائِرٌ مِنْكَ دَنَا
وَتَدِينُ قَدَمُ الْكَأْسِ لَنَا
لِغَبَارِ آدَمِي مَسْنَا

يَا حَبِيبًا زُرْتُ يَوْمًا أَيْكَهُ
لَكَ إِبْطَاءُ الْمَدِلِّ الْمُنْعِمِ
وَحَنِينِي لَكَ يَكْوِي أَغْظَمِي
وَأَنَا مُرْتَقِبٌ فِي مَوْضِعِي
طَائِرُ الشُّوقِ، أَغْنِي أَلْمِي
وَتَجَنِّي الْقَادِرِ الْمُخْتَكِمِ
وَالثَّوَانِي جَمَرَاتٍ فِي دَمِي
مُزْهَفُ السَّمْعِ لَوْعِ الْقَدَمِ

أَعْطِنِي حُرِّيَّتِي أَطْلِقْ يَدَيَّ إِنِّي أَعْطَيْتُ مَا اسْتَبَقَيْتُ شَيْءَ
أَوْ مِنْ قَيْدِكَ أَذْمَى مِغْصَمِي لَمْ أَبْقِيهِ، وَمَا أَبْقَى عَلَيَّ
مَا أَخْتِفاظِي بِعُهُودٍ لَمْ تَصْنُهَا وَالْأَسْرُ، وَالْدُنْيَا لَدَيَّ

* * *

يَا حَبِيبِي، كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ مَا بِأَيْدِينَا خُلِقْنَا تُعْسَاءُ
رُبَّمَا تَجْمَعُنَا أَقْدَارُنَا ذَاتَ يَوْمٍ بَعْدَ مَا عَزَّ الْلِقَاءُ
فَإِذَا أَنْكَرَ خِلٌ خِلَّهُ وَتَلَاقَيْنَا لِقَاءَ الْغُرَبَاءِ
وَمَضَى كُلٌّ إِلَى غَايَتِهِ لَا تَقُلْ: شَيْئًا، وَقُلْ لِي الْحَظُّ شَاءَ

* * *

إيليا أبو ماضي

هو إيليا بن ضاهر أبو ماضي (١٣٠٦هـ/١٨٨٩م - ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) أحد كبار شعراء المهجر، ومن أعضاء الرابطة القلمية فيه. ولد في قرية «المحيضة» بלבنا، وسكن الإسكندرية، وهاجر إلى أميركا. أصدر جريدة «السمير». له «تذكار الماضي»، و«الجداول» و«الخمائل».

ومن قصائده الوطنية الرائعة نثب القصيدتين التاليتين:

* * *

لُبنا

اثنانِ أعيا الدهرَ أن يبلِيهما	لبنانُ والأملُ الذي لذويه
نَشْتاقُهُ والصَّيفُ فوقَ هضابِهِ	وُحْبُهُ والثلجُ في واديهِ
وَإِذَا تَمُدُّ لَهُ ذِكاؤُ حبالِها	بِقلائِدِ العُقيانِ تَسْتَغويه
وَإِذَا تُنْقِطُهُ السَّماءُ عَشِيَّةً	بِالأنجُمِ الزَّهراءِ تَسْتَرْضيه
وَإِذَا الصَّبايا في الحقولِ كَزَهرِها	يَضْحَكْنَ ضِخْكا لا تَكْلُفُ فيه
هِنَّ اللواتي قد خَلَقْنَ لي الهوى	وَسَقَيْنِي السَّخَرَ الذي أسقيه
هذا الذي صانَ الشَّبابَ من البلى	وأبى على الأيامِ أن تطويه

*

ولربِّما جَبَلَ أَشْبَهُهُ بِهِ مُسْتَرْسِلاً مَعَ زَوْعَةِ التشبيهِ

فَأَقُولُ يَحْكِيهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ
يَا لَذَّةَ مَكْدُوبَةٍ يَلْهُو بِهَا
لَأَنِّي أَذْكُرُهُ بِذِيكَ الْجَمَى
وَلِذَا الْحَقَائِقُ أَخْرَجَتْ صَدْرَ الْفَتَى
وَطَنِي سَتَبَقَى الْأَرْضُ عِنْدِي كُلُّهَا -
سَأَلُوا الْجَمَالَ فَقَالَ: هَذَا هَيْكَلِي
مَهُمَا سَمَا هَيْهَاتِ أَنْ يَحْكِيهِ
قَلْبِي وَيَعْرِفُ أَنَّهَا تُؤْذِيهِ
وَجَمَالِهِ وَإِخَالَنِي أَنْسِيهِ
أَلْقَى مَقَالِدَهُ إِلَى التَّمْوِيهِ
- حَتَّى أَعُودَ إِلَيْهِ - أَرْضُ التِّيهِ
وَالشَّعَرُ قَالَ: بَنِيْتُ عَرْشِي فِيهِ

*

الْأَرْضُ تَسْتَجِدِّي الْخَضَمَ مِيَاهَهُ
يُمْسِي وَيُضْبِحُ وَهُوَ مَنْطَرُخٌ عَلَى
أَعْطَاهُ بَعْضَ وَقَارِهِ حَتَّى إِذَا
لَبَنَانُ صُنَّ كَنْزُ الْعَزَائِمِ وَاقْتَصِدَ
وَكُنُوزُهُ وَالْبَحْرُ يَسْتَجِدِّيهِ
أَقْدَامِهِ طَمَعًا بِمَا يَحْوِيهِ
اسْتَجْدَاهُ ثَانِيَةً سَخَا بِبَنِيهِ
أَخْشَى مَعَ الْإِسْرَافِ أَنْ تَفْنِيهِ

*

غَيْرِي يَرَاهُ سِيَاسَةً وَطَوَائِفًا
وَيُرُوحُ مِنْ إِشْفَاقِهِ يَبْكِي لَهُ
قُلُّ لِلْأُلَى رَفَعُوا التَّخَوَّمَ لِأَرْضِهِ
وَلَمَنْ يَقُولُونَ: الْفَرَنْجُ حِمَاتُهُ
وَيَظْلُ يَزْعَمُ أَنَّهُ رَائِيهِ
لَبْنَانُ أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تَبْكِيهِ
ضَيِّقْتُ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِيهِ
اللَّهُ قَبْلَ سَيُوفِهِمْ حَامِيهِ

وطن النجوم

وَطَنَ النُّجُومِ أَنَا هُنَا حَذَقْتُ أَتَذْكُرُ مَنْ أَنَا؟
 أَلَمْخَتْ فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ فَتَى غَرِيرًا أَرْعَنَّا؟
 جَذَلَانْ يَمْرُحُ فِي حُقُولِكَ كَالنَّسِيمِ مُدْلِنَا
 يَتَسَلَّقُ الْأَشْجَارَ لَا ضَجْرًا يُحِسُّ وَلَا وَنَى
 وَيَعُودُ بِالْأَغْصَانِ يَبْرِيهَا سُيُوفًا أَوْ قَنَا
 وَيَخُوضُ فِي وَخْلِ الشِّتَا مُهَلَّلًا مُتَيَمِّنَا
 لَا يَثْقِي شَرَّ الْعُيُونِ وَلَا يَخَافُ الْأَلْسُنَا
 وَلَكَمْ تَشْيِطُنْ كِي يَدُورَ الْقَوْلُ عَنْهُ تَشْيِطُنَا
 أَنَا ذَلِكَ الْوَلَدُ الَّذِي دُنْيَاهُ كَانَتْ هَاهُنَا
 أَنَا مِنْ مِيَاهِكَ قَطْرَةٌ فَاضَتْ جَدَاوِلَ مِنْ سَنَا
 أَنَا مِنْ ثُرَابِكَ ذَرَّةٌ مَاجَتْ مَوَاكِبَ مِنْ مُنَى
 أَنَا مِنْ طُيُورِكَ بُلْبُلٌ غَنَى بِمَجْدِكَ فَأَغْتَنَى
 حَمَلَ الطَّلَاقَةَ وَالْبَشَاشَةَ مِنْ رُبُوعِكَ لِلدُّنَى
 كَمْ عَانَقَتْ رُوحِي رُبَاكَ وَصَفَّقَتْ فِي الْمُنْحَنَى؟
 لِأَرْزِي يَهْرَأُ بِالرِّيَّاحِ وَبِالدُّهُورِ وَبِالْقَنَا
 لِلبَّخْرِ فِيكَ مُصَلِّيَاً لِلصُّبْحِ فِيكَ مُؤَذِّنَا
 لِلشَّمْسِ تُبْطِئُ فِي وَدَاعِ ذُرَاكَ كَيْلَا تَحْزَنَا
 لِلبَدْرِ فِي نَيْسَانَ يَكْحَلُ بِالضِّيَاءِ الْأَغْيُنَا
 فَيَذُوبُ فِي حَذَقِ الْمَهَى سِحْرًا لَطِيفًا لَيْنَا
 لِلْحَقْلِ يَزْتَجِلُ الرِّوَائِعَ زَنْبَقًا أَوْ سَوْسَنَا
 لِلْعُشْبِ أَثْقَلَهُ النَّدى لِلْغُضَنِ أَثْقَلَهُ الْجَنَى
 عَاشَ الْجَمَالَ مُشْرِدًا فِي الْأَرْضِ يَنْشُدُ مَسْكَنَا

حَتَّىٰ أَنْكَشَفَتْ لَهُ فَالِقَىٰ رَحْلَهُ . وَتَوَطَّنَا
وَاسْتَفْرَضَ الْقَنُ الْجَمَالَ فَكُنْتَ أَنْتَ الْأَحْسَنَا

* * *

الدكتورة مي حنا سعادة

أديبة لبنانية، وُلِدَت في أميون (لبنان الشمالي) سنة ١٩١٦م، ونالت شهادة التخصص بأمراض النساء والتوليد سنة ١٩٤٢م. مارست، ولا تزال، الطبّ والجراحة النسائية في طرابلس. لها ديوان شعريّ بعنوان «أوراق العمر».

لُقِّبَتْ، بحقّ، شاعرة الأمومة في الأدب العربيّ، نظرًا إلى قصائدها الرائعة التي قالتها في أبنائها، وخاصّة في ولدها الشهيد «نقولا» الذي استشهد في الحرب اللبنانية (١٩٧٥م). تقول في إحدى قصائدها لابنها «حَنّا»:

لو عَلَى عَيْنِي بِنْعْلَيْهِ مَشَى لَمْ أَقُلْ يَوْمًا لَهُ: يَا ابْنِي تَأْتِي
يمتاز رثاؤها لابنها «نقولا» باللوعة الحارّة، والعاطفة المتدفّقة، فهي تتمثّل ابنها أبدًا، وتخاطبه، وتصوّره بحبّ أموميّ يفوق، في صدقه والتياعه كلّ وصف. وفيما يلي بعض النماذج منه:

* * *

من قال غاب؟

طال البعادُ أما قَدْ حان لُقيانا أيا نقولا، فإنّ البُعْدَ أوْهاننا
إنْ كُنْتُ أَبْدُو أَمَامَ النَّاسِ هَادِئَةً في قلب أُمِّكَ قَدْ فَجَّرَتْ بركاننا

مَنْ قَالَ: قَدْ غَابَ؟ كَلَّا لَمْ يَغِبْ أَبَدًا
أَرَاهُ فِي كُلِّ قَوْمِي غَدًا بَطْلًا
أَرَاهُ فِي الطَّبِّ فِي كُتُبِي عَلَى شَفَتِي
أَرَاهُ فِي الطَّيْرِ فِي الْأَشْجَارِ بِاسِقَّةٍ
أَرَاهُ حَوْلِي فِي رَفْتِي يُدَاعِبُنِي
يُسِرُّ لِي لَأَمْ شَكْوَاهُ بِلَا وَجَلٍ
إِنِّي سَأَدْعُو ابْنَتِي «مِيَا» - يُفَاجِئُنِي -
إِنَّ الْخُلُودَ، أَيَا ابْنِي، لَيْسَ يَشْغَلُنِي
شُكْرًا حَبِيبِي لَقَدْ أَعْطَيْتَنَا بَطْلًا
هَلْ قَدْ تَرَكْتِكَ يَوْمًا؟ كَيْفَ تَتْرُكُنِي
أَصْفُ حَوْلَكَ وَزَدًا كُنْتَ تَعُشُّهُ
كَمْ قَدْ طَلَبْتُ وَكَمْ صَلَّيْتُ جَائِئَةً
مَضَى شَهِيدًا فَلِمَ أَبْكِي عَلَيْهِ؟ لَقَدْ
قَدْ كَانَ يَمَلَأُ «أَمِيونًا» بِبَهْجَتِهِ

أَرَاهُ فِي مُقَلَّةِ الْإِنْسَانِ إِنْسَانًا
أَرَاهُ فِي وَطَنِ الْأَخْقَادِ قُرْبَانًا
أَرَاهُ فِي زَهْرَاتِ الْوَزْدِ أَلْوَانًا
أَرَاهُ فِي نَسَمَاتِ الْفَجْرِ أَلْحَانًا
وَفِي سَرِيرِي عِنْدَ الصُّبْحِ أَحْيَانًا
دَوْمًا، وَيَسْرُحُ إِشْكَالًا وَأَشْجَانًا
حُبًّا وَمَكْرَمَةً مِنِّي وَعِزْفَانًا!
رَضِيتُ فِيكُمْ، وَكَانَ الْقَلْبُ مَلَانًا
بِهِ نَتِيهٌ، وَقَدْ رُقِّعْتَنَا شَانًا
تُكَلِّي لِأَنْسَجَ لِلْأَيَّامِ أَحْزَانًا؟
وَأَفْرَأُ الْكُتُبَ أَنْجِيَالًا وَقُرْآنًا
لِيُخِمِّي اللَّهُ أَبْطَالًا وَشَجْعَانًا
رَدَّ الْوَدِيعَةَ لَمَّا الْوَقْتُ قَدْ حَانَ
وَالْيَوْمُ يَمَلَأُ كُلَّ الْكُونِ إِيْمَانًا

نقولا فياض

شاعر وخطيب وطبيب، وُلد في بيروت سنة ١٨٧٨. تلقى علومه في معهد «الثلاثة أعمار»، ثم تخرّج في مدرسة الطبّ الفرنسيّة. وأقام في الإسكندرية طبيباً مدة عشرين سنة. ثم انتقل إلى بيروت، وعيّن عضواً في المجلس النيابي سنة ١٩٣٠، وكان مديراً للبريد والبرق مدة أربع سنوات. وعرف بمواقفه الخطابيّة. توفي سنة ١٩٥٨. تاركاً وراءه مؤلفات أهمها: «على المنبر» و«رفيق الأتحيان»، و«الخطابة». ترجم شعراً إلى العربيّة قصيدة لامرّتين الخالدة «البحيرة»، ولامرّتين هو ألفونس دو لامرّتين شاعر فرنسي، ولد في «ماسون» سنة ١٧٩٠. تلقى علومه في معهد اليسوعيين. تأثّر بشاتو بريان. وهاجر إلى إيطاليا، ثم إلى الشرق ثم عاد إلى فرنسا وكان عضواً في الأكاديمية الفرنسيّة. توفي سنة ١٨٦٩ تاركاً «تأملات شعريّة»، و«جوسلين»، و«كرازيللا».

* * *

البحيرة

أهكذا تَنقُضي دَوْمًا أمانينا
تجري بنا سَفُنُ الأعمارِ ماخِرةٌ
بُخيرةُ الحبِّ حَيَّاكِ الحيا فَلَكُم
قد كنتُ أرجو ختامَ العامِ يجمعُنا
فجِثْتُ أجلسُ وَخِدي حيشما أخذتُ
هذا أنيئكَ ما بدلتِ نَغَمَتَهُ
وفوقَ شاطئِكَ الأمواجِ ما بَرَحْتَ
وتحت أقدامِها يا طالَ ما طَرَحْتَ
هل تَذْكُرِينَ مساءً فوق مائِكَ إذْ
والبرِّ والبحرِ والأفلاكُ مُضغِيَّةٌ
إلا المجاذيفَ بالأمواجِ ضاربةٌ
إذا برئتِ أنعامُ سُجِرَتْ بها
والموجُ أضغَى لِمَنْ أهْوَى وقد تَرَكْتَ
«يا دهرُ قِفْ فحرامٌ أنْ تطيرَ بنا
ويا زمانَ الصُّبا دَعْنَا على مَهَلٍ

نطوي الحياةَ وليلَ الموتِ يطوينا^(١)
بَحَرَ الرُجودِ ولا نُلقِي مراسينا
كانت مِيَاهُكَ بالنجوى تحيينا^(٢)
واليومَ للدَّهرِ لا يُرجى تلاقينا
عَتي الحبيبةُ آيَ الحبِّ تلقينا^(٣)
وطالَ ما حُمِلْتُ فيه أغانيها
تُلاطمُ الصخرَ حينًا وَاللهَوا حينًا
من رَغوةِ الماءِ كَفَّ الرِّيحُ تأمينا^(٤)
يَجري ونحن سكوتٌ في تصابينا^(٥)
معنا فلا شيء يُلهيها ويُلْهِمنا
يَخالُ إيقاعُها العُشاقُ تُلحينا
فَخِلْتُ أن المَلا الأعلى يُناجينا^(٦)
بهذه الكلماتِ الموجَ مَفْتُونا^(٧)
مِنْ قَبْلِ أن نَتَمَلَّى مِنْ أمانينا
نَلْتَدُّ بالحبِّ في أخلى ليالينا

(١) نطوي: نमित، يقال: طوى الله عمره: أماته.

(٢) الحيا: المطر، الخصب.

(٣) آي: ج آية، وهي علامة.

(٤) رَغوة الماء: زبده.

(٥) التصابي: الميل إلى اللهو.

(٦) المَلا الأعلى: عالم الأرواح.

(٧) أهوى: أحب. مفتونًا: مندهشًا، منجذبًا.

أَجِبْ دُعَاءَ بَنِي الْبُؤْسَى بِأَرْضِكَ ذِي
خَذِ الشَّقِيَّ وَخُذْ مَعَهُ تَعَاسَتَهُ
هِيَهِاتِ هِيَهِاتِ أَنْ الدَّهْرُ يَسْمَعُ لِي
أَقُولُ لِلَّيْلِ قِفْ وَالْفَجْرُ يَطْرُدُهُ
فَلْتُنْعَمِ الْحُبُّ مَا دَامَ الزَّمَانُ بَنَا
مَا دَامَ فِي الْبُؤْسِ وَالنُّعْمَى تَصْرِفُهُ
تَاللَّهِ يَا ظِلْمَةَ الْمَاضِي وَيَا عَدَمًا
مَا زَالَ لُجُكُ لِلْأَيَّامِ مُبْتَلِعًا
نَاشِدُكَ اللَّهُ قَوْلِي وَأَرْحَمِي وَلَهِي
وَطِرْ بِهِمْ فَهَمُّ فِي الْعَيْشِ يَشْقُونَا^(١)
وَخَلْنَا فَهَنَاءُ الْحُبِّ يَكْفِينَا
فَالْوَقْتُ يُقْلِتُ وَالسَّاعَاتُ تُفْنِينَا
مَمَزَقًا مِنْهُ سِتْرًا بَاتَ يُخْفِينَا
يَجْرِي وَلَا وَقْفَةً فِيهِ تُعَزِّينَا
إِلَى الزَّوَالِ فَيُبْلَى وَهُوَ يُبْلِينَا
فِي لَيْلِهِ الْأَبَدِيِّ الدَّهْرُ يَزْمِينَا
فَمَا الَّذِي أَنْتَ بِالْأَيَّامِ تُجْرِينَا
أُتْرَجِعِينَ لَنَا أَحْلَامَ مَاضِينَا^(٢)

* * *

(١) بنو البؤسى : الأشقياء .
(٢) الوله : التحير من شدة الحب .

بولس سلامة

هو شاعر الألم وأيوب القرن العشرين، وُلد في بيت الدين اللّقى من أعمال لبنان سنة ١٩٠٢. كان أبوه يعمل بتجارة بزر الحرير والفيالج. تلقى دروسه الأولى في مدرسة القرية البدائية، ثم انتقل إلى صيدا حيث دخل مدرسة الأخوة المريميين (الفرير)، وذلك سنة ١٩١٣. وما أن انقضت السنة الدراسية حتى وقعت الحرب الكونية الأولى، فعاد إلى قريته، وراح يساعد أباه في أعماله. وبعد انتهاء الحرب دخل مدرسة «الحكمة». ومن ثمّ علّم فيها ثلاث سنوات. وفي سنة ١٩٢٦ تخرّج في معهد الحقوق، وتدرّج في المحاماة. وفي سنة ١٩٢٨ نقل من قوس المحاماة إلى القضاء، فعين حاكمًا صلحيًا في عاليه. أُحيل على التقاعد سنة ١٩٤٤ بسبب الداء الذي سَمّره على فراش الألم أعوامًا. أُجريت له أربع وعشرون عملية، كما فصّل ذلك في كتابه: «مذكرات جريح».

* * *

ألم

داءٌ تخلّل في العظام فردّها فلذا وأشلاء على أشلاء^(١)

(١) الفلدا: ج الفلدة، وهي القطعة. الأشلاء: ج الشلر، وهو البقية.

سالت على حدّ المباحض مهجتي
وتشابهت منّي الجراح فأصبحت
وتشيع بي حُمى تهدّ مفاصلي
فأغيب في الكابوس غيبةً سابح
ويح السفينة في الخضمّ شريفة
كأسي على الألم الدويّ شربتها
لم يبق للندمان بَعْدِي قطرة
صُبّحي أمرٌ من المساء فعيشتي
أواه لو كان الرقاد يزورني
لا يلتقي جفناي إلّا خلسة
ألّمي يشقّ على الخيال لحاقه
هو كلّ آهات العصور تجمّعت
أيوب من أيوب؟ ماذا خطبه
فإذا مرّرت على الجريح تعودّه
صخبني وهل في الصحب إلّا قلة
قد كنت أفديهم بأهلي جملة

فسفارها مصبوغةً بدمائي^(١)
حفرًا تضلّ بها عُيُونُ الرائي
وتدبّ مثل الحية الرقطاء^(٢)
في النار بين الحسّ والإغماء^(٣)
فكأنّها مُنِعَتْ من الإرساء
ممزوجةً بمرارةٍ ودماءٍ
بالدنّ في خمار الرزاء^(٤)
موصولةً الظلماء بالظلماء
لرضيت من دنياي بالإغفاء
فكان بينهما قديم عدا
فيتيه بين البحر والصحراء^(٥)
مرويةً بمدامع الشهداء
هو قطرة وأنا خضمّ بلاء^(٦)
فلقد أتيت مدافن الأحياء^(٧)
خَفِظْتُ على دُهم الخطوب ولائي^(٨)
وبمهجتي لو كان يوم فداء^(٩)

(١) المباحض: ج المبضع، وهو آلة لشق الجلد ونحوه.

(٢) الرقطاء: المنقطة بنقط سوداء وبيضاء.

(٣) الكابوس: ما يزعج الإنسان في نومه.

(٤) الندمان: ج النديم، وهو الجليس على الشراب. الدن: إناء للخمر. الأرزاء: المصائب.

(٥) يتيه: يضلّ ويضيع.

(٦) خطبه: مصيئته. الخضم: البحر. البلاء: المصائب.

(٧) تعود: تزوره.

(٨) الدهم: ج الأدهم، وهو الأسود.

(٩) المهجة: النفس.

فإذا بهم والخطبُ حلّ بساحتي لا يذكرون على الزمان وفائي^(١)
 غاض الوفاء من الصدورِ فظِلُّهُ في الناسِ ظلُّ الجودِ في البخلاء^(٢)

* * *

وحده

سَوِّطُ الْعَذَابِ أَطَالَ شَهْدَهُ فَرَرْتُ لِأَنْتِهِ الْمَخَذَهُ^(٣)
 أَتَأْتُهُ الْحَمْرَاءُ جَارِيَةً مَعَ الْأَنْفَاسِ وَقَدْهُ
 لَزِمَ الْوَسَادَةَ عُمَرَهُ مَا أَطْوَلَ الْأَعْوَامَ رَقْدَهُ^(٤)
 بَرِمَ السَّرِيرُ بِعَاشِقٍ أَعْيَا الْأَسَاءَةَ فَلَنْ تَصُدَّهُ^(٥)
 لَا اللَّيْلُ زَحْزَحُهُ وَلَا وَضَحُ النَّهَارِ أَزَالَ وَجْدَهُ
 زَفَرَ الْحَدِيدُ وَلَا مَلَامَةٌ فَالْحَدِيدُ أَطَاقَ جُهِدَهُ

* * *

يَا سَاجِيًا أَكَلَ الْفَرَاشُ ضُلُوعَهُ وَامْتَصَّ جِلْدَهُ^(٦)
 يَا بَرْمَكِيًّا ضَافَهُ شَخْصُ الْعَذَابِ فَقَرَّ عِنْدَهُ^(٧)
 عَجَبًا أَكُنْتَ حَفِيدَهُ أَمْ كُنْتَ وَالِدَهُ وَجْدَهُ
 بَوَّاتُهُ الْقِمَمَ الْعُلَى وَعَلَى الْعَصُورِ رَفَعَتْ بَنْدَهُ^(٨)

(١) حلّ بساحتي: أي أصابني.

(٢) غاض: غار.

(٣) السهد: السهر. الآتة: الآه.

(٤) الوسادة: المخدّة.

(٥) برم: ملّ. الأساة: ج الآسي، وهو الطيب. أعيا: أعجز.

(٦) الساجي: هنا، النائم.

(٧) قرّ عنده: سكن عنده.

(٨) بوّاته: أنزلته. القمم العلى: المراتب العالية. البند: الراية.

ما آهة في الأرضِ إلا من معينك مُستَمِدّه

* * *

أيوبُ أغوزُهُ الخلودُ فجاءَ منك يرومُ خلدَهُ^(١)
ثَارَ الزمانُ من الورىِ وعليك وحدك صبَّ حقدَهُ^(٢)

* * *

ظَفِرَتْ يدَاكَ مِنَ الوجودِ بشوكِهِ وأضغَتْ وردَهُ
شوكُ أَخَذَتْهُ المباضعُ في العظامِ فما أَحَدَهُ
كم صدُّ عنك مُخَايَلُ هَزَلُ الزمانِ أَجَدُّ سعدَهُ^(٣)
قد كان يُكبرُ منك تسليماً فيشريحُ بسجده
فإذا به، والجاهُ أَبْطَرُهُ يُصعِّرُ عنك خَدَهُ^(٤)
رَضِيعُ الخساسةِ منذُ ما صدرُ اللثيمةِ فضَّ نهدَهُ
العارُ شَدَّ قِمَاطَهُ والفاجراتُ بَسَطْنَ مهدَهُ^(٥)
والدهرُ إن يَهْزِلْ تُسُدْ عرشَ النُهى والحُسنِ قِرَدَهُ

* * *

وصَرَفْتَ مَذْمَعَكَ الأنوفَ ببسمةٍ قَأَتْنِيَتْ ضِيْدَهُ
ضَبًّا بوجهك أن تصغِرَهُ الدموعُ وأن تُخِذَهُ^(٦)
عَافَ الدناءةَ سيِّدُ جعلَ الزمانَ الوغدَ عبْدَهُ

(١) يروم: يطلب.

(٢) الورى: الناس.

(٣) المخايل: المخادع.

(٤) البطر: التكبر لدى النعمة. صعر خده: تكبر.

(٥) القمط: خرقه عريضة تُلف على المولود الصغير. المهد: السرير.

(٦) خذ الشيء: أثر فيه.

يُودي الكريم من الطوى
عشت الغريب سماعة
وأشد آلام التَّعْرُبِ
جأز الحسام قرأبه
بصميمة الوشي المنمنم
بين الشهيد وأهله
جلد تجوز به العيون
والسهل إن جاز المدى
ولكان يُسعدك الثواء
لو كان يكتنف الشذا
ويورث الأجيال مجده^(١)
ومروءة، وعُرى موده
جهل منزلة وشده
والغمذ يجهل منه حده^(٢)
وهو لا يدري فرنده^(٣)
من شاسع الأبعاد وهذه
وتجهل الأحداق بُغده
تتجاهل الأبصار تُجده
بموطن حلت بُرده^(٤)
في عصفه الأرياح بلده

* * *

كيف السبيل لغفوة
ليل المريض وهل له
ليل يضل به الزمان
أبد تحوك نسيجه
يخلو من الطيف الأنيس
ولكان يقنع بالمنام
أفل الشباب وطيبه
للصخر عيد شبابه
والهم ساق إليك وفده
في العمر، أو في الوقت مُده
فليس يغلم منه قصده
كف السهاد المستبد
وليت للأطيف رده
فتى يرى الأحلام جنده
أواه لو سدت مسده
وحُرمت بهجته وزغده

(١) يودي: يهلك. الطوى: الجوع.

(٢) الحسام: السيف. القراب: الغمد، بيت السيف.

(٣) الوشي المنمنم: المزين. الفرند: السيف.

(٤) الثواء: الإقامة.

بَهَظَ الغَطَاءُ رَفِيقَهُ وَأَمْضُ كَاهِلَهُ وَزَنَدَهُ^(١)
 قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ الْمَحْجَّلُ لَوْ هُوَ جَبَلٌ لَصَدَّهُ
 أَتَرَى اللَّحَافَ غَطَاءَهُ أَمْ بَاتَ هَذَا السِّتْرُ لَحَدَهُ
 كَمْ مَرَّةً طَلَبَ الْجِمَامَ يَعُودُهُ فَيَبْتُ عَقْدَهُ^(٢)
 عِشْرِينَ وَعَدَا بَثُّهَا الْأَجَلُ الْكَذُوبُ وَحَلَّ وَعَدَهُ
 بَرَقَ خُلُوبٌ يَحْصِدُ الْقَلِقُ الْكَسِيرُ الْقَلْبَ رَعْدَهُ^(٣)

يَا مَوْتُ، يَا مَلِكَ السَّخَا رَحِمَاكَ لَوْ عَجَّلْتَ فَقْدَهُ
 عَجَبًا لَكَفَّكَ، وَهِيَ دَأْمَاءُ الْعَطَاءِ تَصِيرُ جَعْدَهُ^(٤)
 وَلَكِنْتُ أَشْفَقُ رَاحِمَ لَوْ فِي الْمَنَامِ سَلَبْتُ رَشْدَهُ
 مَا هَذِهِ عَمَقُ الْجِرَاحَةِ بَلْ دَفِيقُ الْوَعْيِ هَذِهِ

يَا أَيُّهَا الدَّانِي وَقَدْ تَسْتَوْحِشُ الْآفَاقُ بَعْدَهُ
 وَإِذَا مَضَى أَرْجُ الرِّبِيعِ تَرَقَّبُ النِّسَمَاتُ رِنْدَهُ
 وَالذِّكْرِيَّاتُ إِذَا نَشَدْنَ الْخَيْرِينَ ذَكَرْنَ رِفْدَهُ^(٥)
 عَجَبًا أَيْذَكُرُهُ الزَّمَانُ وَتَخْفِرُ الْأَصْحَابُ عَهْدَهُ
 تَتَأَوَّهَ الْعِظَمَاتُ إِمَّا تَذَكُرُ الْعِظَمَاتُ وَدَّهُ
 فَتَقُولُ يَا عَلَمَ الْمَرْوَةِ وَيَخَ بِؤْسِكَ مَا أَشَدَّهُ
 مَاتَ الْمَعَذَّبُ وَخَدَهُ أَتَرَاهُ عَاشَرَ الْعَمْرِ وَخَدَهُ؟

(١) أَمْضُ: أَوْجَع. الْكَامِلُ: مَقْدَمُ أَعْلَى الظَّهْرِ مِمَّا يَلِي الْعُنُقَ.

(٢) الْحَمَامُ: الْمَوْتُ.

(٣) بَرَقَ خُلُوبُ: السَّحَابُ الَّذِي يَلْمَعُ بَرْقَهُ وَلَا مَطَرَ فِيهِ.

(٤) الدَأْمَاءُ: الْبَحْرُ.

(٥) الرِّفْدُ: الْعَطَاءُ.

صلاة

يا مَلِيكَ الحَيَاةِ أَنْزِلْ عَلَيْنَا جُودُ كَفِّيكَ، إِنَّ تَشَاءَ، يَمْلَأْ
واهِبَ النُّورَ والتَّوَدَى للروابي طَالَ فِي مَنْقَعِ الْعَذَابِ مَقَامِي
عَزْمَةً مِنْكَ تَبَعْتُ الصَّخْرَ حَيًّا العَيْشَ نَمَاءً وَيفرَش الجَدْبَ فَيَا
أُولِنِي مِنْ جَمَالِ وَجْهِكَ شَيًّا وَاسْتِرَاحَ الشَّقَاءُ فِي مُقْلَتِيَا
أَتَرَى اللَّيْلَ شَرَعَكَ الْأَبَدِيَا سَرْتُ مِنْهُ فَلَمْ يَعْذُ خَشْبِيَا
وَيْحَ حَظِّي! أَضْحَحْتُ حَرَامًا عَلَيَا وَيفُتُّ النَّاسُ عَظْمِي عَشِيَا
صَاغَهُ الْخُطْبُ زورَقًا بَشْرِيَا فَتَعَجَّبْتُ لِسَابِحٍ فِي جَحِيمِ

* * *

الباب الثامن:

متفرقات

يوم مولدي

عُذتْ يا يَوْمَ مولدي
عدتْ يا أَيُّهَا الشقي
الصَّبَا ضاعَ من يدي
وغزا الشَّيْبُ مفرقي
ليتْ - يا يَوْمَ مولدي
كنتْ يَوْمًا بلا غدا!!
* * *

ليتْ أني - من الأزل
لم أعش هذه الحياة
عشتُ فيها ولم أزل
جاهلاً أنها حياة!!
ليتْ أني من الأزل
كنتُ روحًا
ولم أزل!!
* * *

أنا عُمَرُ بلا شباب

وحياة بلا ربيع

أشتري الحب

بالعذاب!!

أشتريه

فَمَنْ يَبِيعُ ١٩٩!

* * *

عريتُ من الشبابِ وكنتُ عُصْنًا كما يَغري من الورقِ القَضيبُ
ونحتُ على الشبابِ بدمعِ عيني فما نفعَ البكاءِ ولا النحيبُ
فيا ليتَ الشبابَ يعودُ يومًا لأخبره بما فعلَ المشيبُ
أبو العلاء المعري

* * *

وهتُ^(١) عَزمًا تَكُ عندَ المشيبِ وما كانَ من حقِّها أنْ تهَي
وأنكرتُ نفسَكَ لَمَّا رَأَيْتُ فلا هيَ أُنْتُ ولا أنتَ هي
إذا دُكِرَتْ شَهَوَاتُ النُّفوسِ فلا تَشْتَهِي سوى أنْ تَشْتَهِي
؟؟؟

* * *

(١) وهت: هزلت، ضعفت.

فهرس المحتويات

٣٧..... داعي الحب	٥..... المقدمة
٣٩..... فلربّ عارضة	٧. الباب الأول: الشعر الوجداني
٤٠..... أفي الناس أمثالي	الباب الثاني: من الشعر الوجداني
٤٢..... قيس لبنى	١٥..... في العصر الجاهلي
٤٣..... مصائب الدهر	١٧..... المهلهل
٤٣..... لا أقرّ الله عينك	١٨..... رثاء كليب
٤٧..... معجون ليلي	١٩..... الخنساء
٤٨..... حمامات بطوق	٢٠..... رثاء صخر
٤٨..... المؤنسة	٢٠..... قدّى بعينك
٥١..... الصمة بن عبدالله بن الطفيل	٢١..... ما بال عينك
٥١..... حنين	٢٢..... قلب غير مهتضم
٥٣..... جرير	٢٤..... قس بن ساعدة
٥٤..... رثاء امرأته	الباب الثالث: من الشعر الوجداني
الباب الخامس: من الشعر الوجداني	٢٧..... في عصر صدر الإسلام
٥٧..... في العصر العباسي	٢٩..... حطان بن المعلى
٥٩..... الشريف الرضي	٢٩..... لولا بنيات
٥٩..... العمر روحة راكب	٣١..... متمم بن نويرة
٦٢..... العباس بن الأحنف	٣١..... هذا كله قبر مالك
٦٢..... لوعة قلب	٣١..... وكنا كندماني جديمة
٦٣..... هول الفراق	الباب الرابع: من الشعر الوجداني
٦٥..... أبو فراس الحمداني	٣٣..... في العصر الأموي
٦٦..... أراك عصي الدمع	٣٥..... جميل بثينة
٦٩..... يا حسرة	٣٦..... لقد فرح الواشون
٧١..... مصابي جليل	

١١٠.....	يا نسيم البحر
١١٢.....	الأخطل الصغير
١١٢.....	كيف أنسى
١١٥.....	بدر شاكر السياب
١١٦.....	على الرابية
١١٧.....	الياس أبو شبكة
١١٨.....	إجرح القلب
١١٩.....	خليل مطران
١٢٠.....	المساء
١٢٢.....	الأسد الباكي
١٢٤.....	أحمد شوقي
١٢٤.....	نكبة دمشق
١٢٧.....	إبراهيم ناجي
١٢٧.....	الأطلال
١٣٠.....	إيليا أبو ماضي
١٣٠.....	لبنان
١٣٢.....	وطن النجوم
١٣٤.....	الدكتورة مي حنا سعادة
١٣٤.....	من قال غاب
١٣٦.....	نقولا فياض
١٣٧.....	البحيرة
١٣٩.....	بولس سلامة
١٣٩.....	ألم
١٤١.....	وحده
١٤٥.....	صلاة
١٤٧.....	الباب الثامن: متفرقات

٧٣.....	الشاعر والحمامة
٧٤.....	المتنبي
٧٥.....	وصف الحمى
٧٨.....	رثاء جدته
٨٢.....	ابن الرومي
٨٣.....	رثاء ولده الأوسط
الباب السادس: من الشعر الوجداني	
٨٥.....	في العصر الأندلسي
٨٧.....	ابن زيدون
٨٨.....	أضحى التناهي
٨٩.....	إن يطل ليلى
٩٠.....	ابن سهل
٩٣.....	لسان الدين بن الخطيب
٩٣.....	جادك الغيث
٩٦.....	علي الحصري
٩٦.....	يا ليل الصبّ
٩٨.....	المعتمد بن عباد

الباب السابع: من الشعر الوجداني

١٠١.....	في العصر الحديث
١٠٣.....	أبو القاسم الشابي
١٠٣.....	السامة
١٠٤.....	شكوى اليتيم
١٠٦.....	في ظل وادي الموت
١٠٩.....	الشاعر القروي
١٠٩.....	شكوى



سلسلة «أروع ما قيل»

أروع ما قيل في الوصف	أروع ما قيل في الاجتماعيات
أروع ما قيل في الوطنية	أروع ما قيل في الإخوانيات
أروع ما قيل من الأدعية	أروع ما قيل في الحب والغزل
أروع ما قيل من أغان وأشعار للأطفال	أروع ما قيل في الحكمة
أروع ما قيل من الأمثال	أروع ما قيل في الخمرة ومجالسها
أروع ما قيل من الحكايات ٢/١	أروع ما قيل في الرثاء
أروع ما قيل من الخطب	أروع ما قيل في الزهد والتصوف
أروع ما قيل من الرباعيات	أروع ما قيل في الزواج
أروع ما "كتب" من الرسائل	أروع ما قيل في الفخر والحماسة
أروع ما قيل من الطرائف	أروع ما قيل في المديح
أروع ما قيل من قصص العشاق ٢/١	أروع ما قيل في المرأة
أروع ما قيل من الموشحات	أروع ما قيل في الموت
أروع ما قيل من النوادر	أروع ما قيل في الهجاء
أروع ما قيل من الوصايا	أروع ما قيل في الوجدانيات